أصداء معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في الشعر المصري

"رؤية تحليلية"

د.عبده إبراهيم أحمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد - كلية اللغة العربية / القاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.....

فمنذ العصر الجاهلي والشعر أداة فاعلة ،ووسيلة من وسائل التعبير ذات الأثر الفعال في النفوس والعقول، وكيف لا يكون كذلك والشعر ديوان العرب، وسجل مآثرهم وسلاحهم الفتاك. يجابهون به أعداءهم، ويدونون به مفاخرهم، ويوجهون به من أخطأ ويقومون من اعوج، ولعل هذه العلاقة بين الشعر والمجتمع قد جعلت النبي ﷺ وسلم يقول : (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين) (١) وأنى للإبل أن تدع حنينها؟!

إن ارتباط الشعر بالمواقف السياسية كان من أبرز ما قام به الشعراء في العصر الجاهلي، إذ جابهوا به كل ما يعانون من ألوان الصراع تجاه التجارب، والأزمات، والأحداث التي يتعرضون لها، ومن ثم رأينا الشعراء ينحزنون ويتوعدون، يستنهضون ، ويثورون يرفضون ، ويؤيدون.

ولم تتخلف هذه الوظيفة مع عصر النبوة ، فمازال شعراء الدعوة يمثلون رجال المقاومة الذين وقفوا بألسنتهم في وجه كل قوى الضلال والشرك ، فكانت الألسنة أقوى من الأسنة، وكيف لا وقد صار الشعر ضربا من ألوان الجهاد في سبيل الله ،فقد ورد في الحديث:(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل)( ) (٢) وفي حديث آخر: أن النبي ﷺقال : (جاهدوا المشركين بأنفسكم، وأموالكم، وألسنتكم) ( ) (٣)

ويتخذ الشعر السياسي في العصر الأموي منحنى جديدا لما غلبت النزعة السياسية على الدولة، وتقسمت أحزابا وشيعا، فكان لكل حزب شعراؤه المتحدثون عن مبادئه وتوجهاته، وأصبح الشعر السياسي تحكمه أهداف ومناهج، ويقوم على خدمة

الحزب وتأييد دعوته، والانتصار لمبادئه، والرد على خصومه، وتفنيد براهينهم، ودحض حججهم.

وهكذا ظل الشعر في مختلف العصور يؤدي دوره السياسي، تعبيرا عن موقف الشاعر الذاتي، أو استجابة لأولي الأمر فيما يدعون إليه.

كذلك لم يتخلف شعراء العصر الحديث عن القيام بهذه المهمة، بل لا أبالغ إذا ما قلت: إن ارتباط الشعر بالسياسة في العصر الحديث قد فاق العصور كلها، لما تعددت ألوان الصراعات، وتباينت المواقف والأزمات، وأصبح الشاعر يرى الاضطرابات السياسية الطاحنة والمواقف الدولية المتناقضة، والموازين المنحرفة، والسيادات الناقصة، والهزائم المتوالية والأحداث الطارئة، فكان من حقه وهو يعايش كل تلك الأحداث أن يعبّر عن موقفه انطلاقا من انفعاله بتلك القضايا وتأزمه النفسي منها، ورغبة منه في أداء رسالته من خلال الكلمة الشاعرة.

ولعل من أشهر الأحداث والقضايا التي شغلت بال الشعراء، بعد انشغالهم بحرب أكتوبر معاهدة السلام، التي أبانت عن مواقف متباينة للشعراء، وقسمتهم بين مؤيد، ورافض

وهذه الدراسة محاولة للوقوف على أصداء تلك المعاهدة على نفوس الشعراء، وكيف استطاعوا من خلال الكلمة الشاعرة أن يصوروا مواقفهم، ويشكلوا بآرائهم وجدان وفكر المجتمع، لتظل العلاقة بين الشعر والسياسة علاقة جدلية لا إلحاقية، وليظل صوت الكلمة لا يقل عن قعقعة الجيوش، وجعجعة الأسلحة.

وقد حاولت جاهدا أن أجمع ما جادت به قرائح الشعراء مؤيدين ورافضين للسلام وجعلت ذلك مقصورا على الشعراء المصريين، ففتشت في بطون الصحف، وطالعت الدواوين الشعرية، حتى توافر لدي عدد ليس بالقليل من القصائد، يمكن من خلاله وضع تصور لمواقف الشعراء من معاهدة السلام.

وتحقيقا لتلك الغاية جعلت الدراسة تدور في ثلاثة مباحث، جعلت الأول منها (الاتفاقية أجواء وبنود، ومواقف وردود) وفيه تذكير للقارئ بالأجواء التي سبقت توقيع الاتفاقية، وذكر لبنودها، وبيان للموقفين المصري والعربي، أما المبحث الثاني (موضوعات معاهدة السلام في الشعر المصري) فقد قسمت فيه ما جمعت من شعر إلى موضوعات سواء عند

شعراء التأييد ،أو شعراء الرفض ، ووقفت أمام هذه الموضوعات وقفة تحليلية متأنية تقوم على استنطاق النص ،دون أن تحمله ما لا يحتمل، أو تتقول على الشاعر ما لم يقل، ثم كان المبحث الثالث (من عناصر التشكيل الفني) وفيه رصد لأهم الظواهر الفنية التي وقع عليها الشعراء ممن جمعت لهم، والتي شكلوا من خلالها رؤاهم الخاصة حول السلام مع إسرائيل .ثم كانت الخاتمة .

وإضافة إلى ذلك فقد عرفت بالشعراء غير المعروفين ،وتركت المشهورين، وبعضا ممن لم أعثر لهم على معلومات،أو تراجم، معتمدا في ذلك على معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر ،والعشرين.

وإني إذ أقدم تلك الدراسة فإني أرجو أن أكون قد رسمت من خلالها مواقف الشعراء وجسدت عواطفهم ،وأبنت عن أفكارهم ،فإن يكن ذلك فتوفيق الله وفضله، وإن تكن الأخرى فحسبي ما بذلت من جهد ،وأخلصت من نية ،والله حسبي ،عليه توكلت،وإليه أنيب

دكتور:

عبده إبراهيم

المبحث الأول

الاتفاقية أجواء وبنود ، ومواقف وردود

(١)

ليس ثمة شك أن حرب أكتوبر قد غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وللعرب، وللعالم كله، ولعل عظمة هذا الانتصار بالنسبة للمصريين أنه قد أتى من رحم الهزيمة، وبعد ست سنوات من اليأس والانكسار،سنوات أصبح المقاتل المصري فيها - في نظر العالم ،وفي نظر إسرائيل - جنديا متخاذلا، لا يقدر على المواجهة ، ولا يستطيع الصمود أمام القوة العسكرية الإسرائيلية خصوصا بعد النكسة، بدد نصر أكتوبر هذا الوهم، وأثبت أن المقاتل المصري ذو كفاءة عالية وقدرة قتالية فائقة ، وإرادة لا تعرف اليأس ، فأذهل العالم ، وحطم المستحيل الذي زعموه .

لقد حققت حرب أكتوبر معظم أهدافها العسكرية ، والإستراتيجية ، والتكتيكية على مختلف المستويات فعلى المستوى المحلي والعربي استردت مصر سيادتها الكاملة على قناة السويس، كما استردت جميع أراضيها في شبه جزيرة سيناء، وبالمثل استردت سوريا جزءا من مرتفعات الجولان وبذلك أعادت الحرب للمصريين وللعرب كرامتهم، وردت عليهم الثقة في قدراتهم، وخلصتهم من آثار صدمة النكسة.

أما أعظم النتائج المعنوية فتكمن في تحطيم الأسطورة التي أشاعها الإعلام الإسرائيلي والغربي ، والأمريكي عن جيش إسرائيل الذي لا يقهر، فكانت هذه الحرب زلزالا هد كيان الشعب الصهيوني ، وأوقفه على حقيقة قدره، وقدراته.

لقد آمن الشعب الصهيوني بأن تفوقه على العرب في العدة حصن يضمن له حياة آمنة مستقرة، ويحقق له النصر أنى التقى الطرفان، لكن حرب أكتوبر أحدثت صدمة عسكرية، وحطمت إسرائيل تحطيما سياسيا، وحربيا ، واقتصاديا، وأضاعت الثقة الدولية بها وأصبح الحديث عن تفوقها الحربي أضحوكة ، وبذلك سقطت أسطورة القوة التي لا تقهر وما كان إلا أن انقسم القادة ، والساسة ،والعسكريون الإسرائيليون على أنفسهم ، وراح كل واحد منهم يوجه التهم للآخر ،مما يدل على اعترافهم الكامل بفشلهم ونجاح المصريين.

تقول "جولدا مائير" رئيس الوزراء :(إن صدمتنا لم تتمثل في الطريقة التي حاربونا بها ولكن لأن عددا من المعتقدات الأساسية التي آمنا بها قد انهارت أمامنا ، فقد آمنا

باستحالة وقوع حرب،وآمنا بأننا سوف نتلقى إنذارا مبكرا بتحركاتهم ، وآمنا بمقدرتنا التامة على منع المصريين من عبور القناة ، وقد انهار ذلك كله فجأة ،إن ما حدث شئ لا يمكن وصفه..) (٤)

لقد أسهمت الدول العربية والإسلامية في تحقيق هذا الانتصار العظيم،بما أمدت به من عدة وعتاد، وبما قدمته من جنود وقفوا جنبا إلى جنب مع المقاتلين المصريين ، والسوريين، طبقا لاتفاقية الدفاع العربي المشترك، فكان النصر للعرب جميعا ، ومن ثم بات كل فرد ينتشى بالحرب ويتباهى بالقدرات العسكرية ، خصوصا حين يقرأ ما كتبه الخبراء العسكريون من كل أنحاء العالم، بل ومن إسرائيل نفسها عن عظمة ما فعله المقاتل العربي على الجبهتين المصرية، والسورية.

لقد كانت الفرحة بالنصر عظيمة ، فيها طمس العرب ما علق في نفوسهم من مرارة النكسة التي أدمت القلوب، وأذلت النفوس، ولمانت الأمة العربية جميعها.

عبر المصريون والعرب عن هذه الفرحة في مختلف وسائل التعبير المسموعة،والمرئية والمقروءة، وبات الحديث عن الحرب أغنية ترددها كل شفاه ، ولحنا تعزفه القلوب.

(٢)

في ظل هذه الفرحة العارمة، والأجواء المتلألئة بالنصر والمتغنية بالعرب ، فاجأ الرئيس السادات المجتمع المصري، والعربي، والعالمي، بعزمه على عقد اتفاقية للسلام مع إسرائيل، وقد بدت بوادر هذه الاتفاقية مع مطلع عام ١٩٧٤م، وانتهت إلى توقيع نص المعاهدة في السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩م.

ولعل الذي دفع الرئيس السادات إلى اتخاذ هذا القرار أنه أدرك عدم التطبيق الكامل للقرار رقم(٢٨٣) الصادر عن مجلس الأمن ، التابع للأمم المتحدة في الثاني والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣م والداعي إلى وقف إطلاق النار على كافة جبهات الحرب، إضافة إلى القرار رقم (٢٤٢) والداعي ـ أيضا ـ إلى وقف إطلاق النار، وبدء مفاوضات بين الأطراف المعنية ،تحت الإشراف الملائم ، بهدف إقامة سلام عادل ، ودائم في الشرق الأوسط ،(٥)

من هنا بدأ الرئيس "السادات" (يقتنع تدريجيا بعدم جدوى القرار (٣٨٢) لعدم وجود اتفاق كامل لوجهات النظر بينه وبين الموقف الذي تبناه الرئيس السوري "حافظ الأسد"، والذي كان أكثر تشددا من ناحية القبول بالجلوس على طاولة المفاوضات مع إسرائيل بصورة مباشرة، هذه العوامل إضافة إلى تدهور الاقتصاد المصري ، وعدم ثقة "السادات" بنوايا الولايات المتحدة بممارسة أي ضغط ملموس على إسرائيل ،كل ذلك دفع السادات إلى التفكير في السلام ،وكان " السادات" يأمل في أن أي اتفاق بين مصر وإسرائيل سوف يؤدي إلى اتفاقات متشابهة للدول العربية الأخرى مع إسرائيل، وبالتالي سوف يؤدي إلى حل القضية الفلسطينية .

من أجل ذلك وغيره اتخذ الرئيس السادات قراره زيارة إسرائيل، وأعلن عن ذلك في مجلس الشعب المصري سنة ١٩٧٧م .وقال قولته المشهورة(إنني على استعداد للذهاب إلى آخر نقطة في العالم، سعيا إلى السلام العادل ،ومن أجل أن لا يقتل ،أو يجرح أي من أبنائي الضباط والجنود، بل إنني على استعداد حتى للذهاب إلى الكنيست الإسرائيلي ،ولأننا أيضا لا نخشى المجابهة مع إسرائيل.) ( )[٦]

وفي العشرين من نوفمبر ألقى الرئيس السادات كلمته أمام الكنيست الإسرائيلي ودعاهم فيه إلى إقامة سلام عادل وشامل بين مصر ، وإسرائيل، كما دعا "بيجين" إلى زيارة مصر ، وعقد مؤتمر قمة في الإسماعيلية.

وبعد عدد من المؤتمرات واللقاءات،والمحادثات بين الطرفين التي استمرت أكثر من ستة عشر شهرا من خطاب السادات " في الكنيست ، وبالتحديد في السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٧٩م، وقع الرئيس السادات نص معاهدة السلام مع إسرائيل، تحت رعاية الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" بمنتجع "كامب ديفيد"

وقد جاءت المعاهدة في تسع مواد ، وكثير من البنود، والملاحق ، وقد رأيت أن أذكرها كما وردت في كتاب وزارة الخارجية المصرية ،إذ أن كل بند فيها يحمل مواقف وردود خاصة لدى المتلقي المصري ،و العربي ،وهذه المواقف وتلك الردود، هي موضوع دراستنا .

معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ،وبين دولة إسرائيل

"وزارة الخارجية المصرية، معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل واتفاق الحكم الذاتي في الضفة والقطاع، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٤٣ ـ ٤٧"

الديباجة

إن حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة إسرائيل ..

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط وفقا لقراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ..

إذ تؤكدان من جديد التزامهما - بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد - المؤرخ في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ..

وإذ تلاحظان أن الإطار المشار إليه إنما قصد به أن يكون أساسا للسلام، ليس بين مصر وإسرائيل فحسب، بل أيضا بين إسرائيل وأيٍ من جيرانها العرب ،كلٌ فيما يخصه ، ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ..

ورغبة منهما في إنهاء حالة الحرب بينهما ،وإقامة سلام تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن ، واقتناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة ، والتوصل إلى تسوية للنزاع العربي الإسرائيلي بكافة نواحيه

وإذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى في النزاع إلى الاشتراك في عملية السلام مع إسرائيل على أساس مبادئ إطار السلام المشار إليها آنفا واسترشادا بها ..

وإذ ترغبان أيضا في إنماء العلاقات الودية والتعاون بينهما ، وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم ..

قد اتفقتا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرة لسيادتهما من تنفيذ الإطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ..

المادة الأولى

١- تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ، ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.

٢- تسحب إسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء.

٣- عند إتمام الانسحاب المرحلي المنصوص عليه في الملحق الأول، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣).

المادة الثانية

إن الحدود الدائمة بين مصر وإسرائيل هي الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو واضح بالخريطة في الملحق الثاني، وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة، ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ، ويتعهد كل منهما احترام سلامة أراضي الطرف الآخر، بما في ذلك مياهه الإقليمية ،ومجاله الجوي.

المادة الثالثة

١- يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول في وقت السلم، وبصفة خاصة:

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر، وسلامة أراضيه، واستقلاله السياسي.

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر في أن يعيش في سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها.

(ج) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها،أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر، أو غير مباشر، ويحل كافة المنازعات التي تنشأ بينهما بالوسائل السلمية.

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب ،أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيه، أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته، أو مرابطة على أراضيه ضد السكان ،أو المواطنين، أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر، كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم ،أو التحريض، أو الإثارة ،أو المساعدة ،أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب العدوانية، أو النشاط الهدام، أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أي مكان. كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة.

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية ،والاقتصادية، والثقافية، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية ، والحواجز ذات الطابع المتميز المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع، كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطني الطرف الآخر الخاضعين للاختصاص القضائي بكافة الضمانات القانونية، ويوضع البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة

التي يتعهد الطرفان بمقتضاها - بالتوصيل إلى إقامة هذه العلاقات، وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة.

المادة الرابعة

١-بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل، تقام ترتيبات أمن متفق عليها ، بما في ذلك مناطق محدودة التسليح في الأراضي المصرية، أو الإسرائيلية،وقوات أمم متحدة ، ومراقبين من الأمم المتحدة، وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت في الملحق الأول، وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يوقع عليها الطرفان.

٢- يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة في المناطق الموضحة بالملحق الأول، ويتفق الطرفان على ألا يطلبا سحب هؤلاء الأفراد ، وعلى أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم إلا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، بما في ذلك التصويت الإيجابي للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك.

٣- تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه في الملحق الأول.

٤- يتم بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر في ترتيبات الأمن المنصوص عليها في الفقرتين ١، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين.

المادة الخامسة

١- تتمتع السفن الإسرائيلية،والشحنات المتجهة من إسرائيل ، وإليها ،بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها، في كل من خليج السويس، والبحر الأبيض المتوسط ، وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول، كما يعامل رعايا إسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص ، والسفن، والشحنات المتجهة من إسرائيل وإليها ، معاملة لا تتسم بالتميز في كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة.

٢ - يعتبر الطرفان أن مضيق تيران ، وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق ، أو إيقاف لحرية الملاحة ، أو العبور الجوي، كما يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوي من وإلى أراضيه، عبر مضيق تيران ،وخليج العقبة.

المادة السادسة

١- لا تمس هذه المعاهدة ، ولا يجوز تفسيرها على نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين ، وفقا لميثاق الأمم المتحدة.

٢ ـ يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة ، بصرف النظر عن أي فعل ، أو امتناع عن فعل ، من جانب طرف آخر ، وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة.

٣ ـ كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكي تنطبق في علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف، التي يكونان من أطرافها بما في ذلك تقديم الأخطار المناسب للأمن العام للأمم المتحدة ، وجهات الإيداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات.

٤ ـ يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزامات تتعارض مع هذه المعاهدة.

٥ ـ مع مراعاة المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة ، وأي من التزاماتهما الأخرى، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة.

المادة السابعة

١ ـ تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة.

٢ ـ إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق، أو تحال إلى التحكيم.

المادة الثامنة

يتفق الطرفان على إنشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات المالية.

المادة التاسعة

١ ـ تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها.

٢ ـ تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر وإسرائيل في سبتمبر ١٩٧٥.

٣ ـ تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها.

٤ ـ يتم إخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة.

حررت في واشنطن د . ي . س في ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩م ، ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩هـ من ثلاث نسخ باللغات العربية، والعبرية ، والإنجليزية، وتعتبر جميعها متساوية الحجية، وفي حالة الخلاف في التفسير فيكون النص الإنجليزي هو الذي يعتد به.

عن حكومة جمهورية مصر	عن حكومة دولة إسرائيل	شهد التوقيع
محمد أنور السادات	مناحم بيجين	جيمي كارتر

(٣)

ردود الفعل :

تباينت ردود الأفعال المصرية والعربية منذ أن أعلن الرئيس "السادات" عن عزمه عقد اتفاق سلام مع إسرائيل بين مؤيد ، ومعارض ، ومحايد ، على الرغم من الجهود التي بذلتها القيادة المصرية ،والمحاولات المتعددة التي لجأت إليها بتجنيد شتى وسائلها لإقناع المجتمع المصري ،والعربي بأهمية التوقيع على المعاهدة .

الموقف المصري:

انقسم المصريون على أنفسهم بين مؤيد، ومعارض، فإذا كانت هناك فئة رافضة ترى في السلام استسلاما وضياعا للحقوق العربية، وقضاءً على دور مصر الرائد في المنطقة العربية وانتصارا لإسرائيل . فهناك ـ أيضا ـ من كان يرى في السلام حقنا للدماء،ووقفا لاستنزاف الدم المصري، وبناءً للاقتصاد الذي دمرته الحروب، وغاية شرعية تدعو إليها كل الأديان .

في كتابه "السلام الضائع في اتفاقية كامب ديفيد" يقرر الوزير"محمد إبراهيم كامل" (إن ما قبل به السادات بعيد جدا عن السلام العادل، كما انتقد كل اتفاقيات كامب ديفيد لكونها لم تشر صراحة إلى انسحاب إسرائيل من قطاع غزة، والضفة الغربية، ولعدم تضمينها حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره)(٧)

كما تبنى الفريق "سعد الدين الشاذلي"* رئيس أركان القوات المسلحة إبان حرب أكتوبر الموقف نفسه، فهو يرى أن في السلام تنازلا عن النصر، وضياعا للحقوق ،وتفريطا في دم الشهداء الذين روّوا بدمائهم ساحات المعركة، وقد عارض الرئيس السادات معارضة صريحة، وانتقده علانية، مما جعل السادات يسرحه من الجيش ، فيترك مصر لاجئا سياسيا في الجزائر.

ولم يقتصر الرفض على رجالات السياسة والحرب، فإن عددا غير قليل من المفكرين والكتاب، والأدباء أعلن عن موقفه الرافض لهذه الاتفاقية ، فقد دعا المثقفون المصريون من أمثال توفيق الحكيم ،و حسين فوزي ،و لويس عوض ، وعدد غير قليل من الشعراء إلى النظرة العامة التي تحقق للأمة العربية جميعها أهدافها، لا أن تحقق مصر وحدها مصلحتها الخاصة،وعبروا عن موقفهم الرافض للسلام في أعمالهم الفكرية ، والإبداعية.

الموقف العربي :

لعل من أعظم ما حققته حرب أكتوبر أنها نبهت العالم أن العرب حين تتوحد كلمتهم وتتفق إرادتهم، يمثلون قوة عسكرية واقتصادية، لها من الثقل ما يجعلها تتحكم في اتخاذ قرارها دون تفريط في حقوقها، أو إهدار لكرامتها، ولكن يبدو أن الوحدة العربية لا تدوم طويلا فمذ وقع الرئيس السادات معاهدة السلام مع إسرائيل، قابلت كل الدول العربية - إن استثنينا السودان وسلطنة عمان - الموقف بالرفض ،والقطيعة، وكونت ما يعرف بجبهة الرفض، أو جبهة الصمود والتحدي ، وتزعمت كلٌ من السعودية، والعراق هذه الجبهات.

وقد أعلنت هذه الدول عن موقفها في مؤتمر القمة العربية التاسع المنعقد في بغداد في الثاني من نوفمبر ١٩٧٨م ، ودعوا إلى رفض كل ما صدر عن اتفاقية كامب ديفيد ، وفي العشرين من نوفمبر ١٩٧٩م عقد مؤتمر القمة العربية العاشر في تونس ، وفيه دعا المؤتمر إلى التأكيد على مقاطعة مصر ، والتنديد بسياستها ، وقطع العلاقات الدبلوماسية، والاقتصادية ورفض نتائج كامب ديفيد، على اعتبار أن السادات قد عقد الاتفاقية مع إسرائيل دون مشورة بقية البلاد العربية، كما قرر المؤتمر نقل الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، وإنشاء صندوق لتمويل دول المواجهة مع إسرائيل.

وقد برز المؤتمرون رفضهم بما ورد في المادة الخامسة والتي جاء فيها: (تأكيد الإدانة العربية لكامب ديفيد.. لما كانت اتفاقيتا كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية تشكل انتهاكا صارخا لحقوق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، وخرقا لميثاق الجامعة العربية ومقررات مؤتمرات القمة العربية، وميثاق الأمم المتحدة، وتخرج على إرادة الأمة العربية وتحول دون بلوغ أهدافها، وبخاصة عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه وتقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية المستقلة في فلسطين ، وتحرير الأراضي العربية المحتلة، فان المؤتمر يؤكد إدانته للاتفاقيتين والمعاهدة ورفضه القاطع لها، ولكل ما يترتب عليها من نتائج وآثار.) ([٨])

وهكذا أوجدت اتفاقية السلام صراعا داخليا ، وجدلا لم ينته بعد، وانشقاقا وصدعا للصف العربي ، لكن تبقى الحقيقة أنه على الرغم من كل الانتقادات التي وجهها المصريون ، والعرب للاتفاقية، وعلى الرغم من كل البدائل التي عزموا على الالتزام

بها في سبيل تحقيق مصير الشعب الفلسطيني ،واستعادة القدس، إلا أن شيئا من ذلك لم يكن ، ولعل ما يجسد الفشل العربي في تحقيق بديل عن معاهدة السلام ما تساءل عنه الرئيس "مبارك " في حديث لجريدة السياسة الكويتية في ١٦ فبراير ١٩٨١ ،"ما البديل الذي يطرحه العرب للمعاهدة ؟..لا يمكن لنا أن نحقق شيئا بالحرب مع إسرائيل فهذا مستحيل..هل استطاعت أي قوة أن تأخذ من إسرائيل التزاما بالانسحاب قبل كامب ديفيد... الفلسطينيون باعوا أنفسهم لكذا بلد،باعوا أنفسهم لليبيا..للعراق...لسوريا."

مازال سؤال مبارك الذي طرحه منذ ما يقرب من ثلاثة عقود موجها للعرب، ولمحترفي الشعارات ما البديل للمعاهدة ؟ وماذا فعل العرب في العقود الثلاثة الماضية لتحرير أراضيهم ؟ وهل خرجت سوريا من وضع الجمود والشعارات ؟ وهل تحسن وضع الفلسطينيين أم زاد سوء وانقساما ؟ ألم تحذ الأردن حذو مصر في وادي عربة وانتزعت أراضيها قبل فوات الأوان ؟ ألم يذهب العرب إلى مدريد والفلسطينيون إلى أسلو وهم في وضع أضعف بكثير من كامب ديفيد.؟([9])

إن معاهدة السلام،وإن لم تحقق لمصر وللعرب كل ما يتمنونه، إلا أنها قد أفادت منها مصر الكثير،فكفى مصر حفاظا على دم أبنائها الذين كانوا وقود المعارك ضد الصهيونية، وكفاها ـ أيضا ـ أنها استردت كل شبر من أراضيها .

ومن ثم فإن السلام الذي قبلت به مصر كان في المقام الأول يتعلق باسترداد الأرض ووقف الحرب، والحفاظ على دماء أبنائها ، لكن مالم تحققه اتفاقية السلام على ـ الرغم من نصها عليه ـ أنها لم تستطع أن توجد سلاما في نفوس المصريين ، ولا تطبيعا بينهم وبين الشعب الإسرائيلي ، إذ مازالوا حتى اليوم يعتبرون إسرائيل عدوهم اللدود ،وخصمهم الدائم .

المبحث الثاني :
موضوعات معاهدة السلام في الشعر المصري
١ـ شعراء التأييد...

تفردت مصر بين سائر الدول العربية بأنها خاضت حروبها ضد الصهيونية بما تملك من قدرات عسكرية، وبشرية ، وبأنها وحدها هي التي روت رمال الصحارى بدماء أبنائها الشهداء الذين سطروا أروع الملاحم العسكرية ، حتى ما غدا بيت في مصر إلا وله في ميدان المعركة شهيد أو أسير، جريح، أو كسير.كما استنزفت الحروب قدرات مصر العسكرية والاقتصادية، وأخرت مسيرتها العلمية، والتنموية، وقبل هذا وذاك أحدثت الحروب انكسارا نفسيا لدى عامة الشعب المصري بما تركت من خراب ، وخلفت من آثار لم يمحها تعاقب الليل والنهار.

من هنا تطلعت النفوس إلى نهاية للحروب، خاصة بعد أن حقق المصريون نصرهم المظفر في أكتوبر، واكتملت لهم السيادة باستعادة أراضيهم، ومن ثم ما إن قرر الرئيس السادات عقد معاهدة للصلح مع إسرائيل إلا وقد هتفت حناجر كثير من الشعراء مهللة داعمة لموقفه.

وباستقراء ما أنشأه الشعراء من شعر يؤيدون فيه الدعوة إلى السلام وجدت أنه يدور حول عدد من الموضوعات على الوجه التالي:

١ـ السلام نداء السماء ،ودعوة الأنبياء :

عملت القيادة العليا في مصر على تسخير كافة وسائلها من أجل إقناع المجتمع المصري بالسلام ،وقد أدى رجال الدين دورا رئيسا في هذا الإقناع ،بما أوجدوا من التبريرات الشرعية للسلام ، حتى إن شيخ الأزهر ـ آنذاك ـ الدكتور "عبد الحليم محمود" ـ رحمه الله ـ قد سافر إلى أمريكا قبيل توقيع المعاهدة، وكان الشيخ يرى في زيارة السادات للقدس محاولة لحقن الدماء وأنه تفاوض من منطلق القوة بعد تحقيق النصر،وأن ذلك من مبادئ التشريع.كما أيد الشيخ "عبد الرحمن بيصار"معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وخطوات التطبيع ، وراحت حناجر العلماء في كل محفل تلهج بالسلام ، وتتغنى به.

التقط الشعراء هذا الخيط ، والتفوا حول رجال الدين في التأكيد على دعوة الله للسلام، متخذين من قول الله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم .) [10] ( ) محورا رئيسا دارت حوله كل معاني أشعارهم في هذا الصدد .

يقول الشاعر "خليل فواز" :[11] ( )

والحرب والسلم بين الناس منذ خلقوا ... ومن تسالم بعد النصر لم يلم
وكم هنالك في التاريخ من مثل ... وماك فعل صلاح الدين كالعلم
من ينكرون على ابن النيل مذهبه ... هل يدمغون صلاح الدين بالجزم
أما لنا أسوة في المصطفى حسنت ... صان العهود وعهد الكفر لم يدم
وابن البتول دعا للسلم دعوته ... وقال طوبى لكم يا صانعي السلم
وفي وصايا لموسى الكل يعلمها ... لا تقتل الناس لا تكذب ولا تضم
وقد دعا الله إبراهيم منبتلا ... بالناس تهوي لهم والخير والديم
فالأنبياء ورسل الله دعوتهم ... إلى السلام وحب الناس بعضهم
ومن تناول داعي السلم متهما ... يستغفر الله إن الرسل في عصم
أقال سبحانه للسلم إن جنحوا ... أم قال بل فارفضوا فاصغوا إلى الحكم
ومن تولى عن الرحمن في صلف ... يهنأ بركن له في النار مضطرم

إن المتأمل في الأبيات السابقة يجد الشاعر وقد حلق في أعماق التاريخ، وفي أحكام الشريعة وسير الأنبياء، يستلهم من هؤلاء جميعا العبرة والعظة، ويقتفي أثرهم في دعوتهم إلى السلام، وقبل هذا وذاك يقرر في بداية الأبيات أن الصراع بين البشر موجود منذ خلقوا ومن ثم فإن من دعا إلى السلم بعد النصر لا يلام، وكأنه بهذا التقرير الخبري يقرر حقيقة أخرى بالقياس عليها تتمثل فيما فعله السادات الذي دعا إلى السلم بعد أن حقق النصر وإذا كان الأمر كذلك فلا لوم ولا رفض .

والحرب والسلم بين الناس منذ خلقوا ... ومن تسالم بعد النصر لم يلم

ويأخذنا الشاعر بعد ذلك إلى حيث القدوة، ودعاة السلام ، ويقف بنا أمام القائد العظيم "صلاح الدين الأيوبي" الذي حرر القدس من دنس الصليبيين، في حطين ١١٨٧م وقاد المسلمين من نصر إلى نصر ، ثم هو بعد ذلك يعقد اتفاقية سلام مع "ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ،ولعل الشاعر يقصد اتفاقية "صلح الرملة" * فهل لام أحد "صلاح الدين" على ما فعل ؟

وكم هنالك في التاريخ من مثل ... وماك فعل صلاح الدين كالعلم
من ينكرون على ابن النيل مذهبه ... هل يدمغون صلاح الدين بالجزم ؟

وليلحظ هذا الربط بين "السادات" ابن النيل ،و"صلاح الدين" فكلاهما واجه عدوا غايته الاستيلاء على القدس ، وتشتيت المسلمين، وكلاهما سالم عدوه بعد نصر فلم إذن نلوم السادات ، ونرفض السلام ؟!

ويتدرج الشاعر في الاستدلال محلقا بعقله التاريخي في سماوات الأنبياء، مقتبسا من هديهم ما يتخذ منه تكأة تدعم موقف السادات في دعوته إلى السلام ، فهاهو "المصطفى" ﷺ يلاقي من عنت اليهود ما يلاقي، وهو مع ذلك يعقد معهم الاتفاقيات، ويأخذ عليهم المواثيق

أما لنا أسوة في المصطفى حسنت ... صان العهود وعهد الكفر لم يدم

وكأن الشاعر يذكّر بعهود النبيﷺ مع يهود المدينة ،فقد نقضوا العهود ، وخانوا المواثيق ، أما النبي ﷺ فكان وفيا بكل ما عاهدهم عليه .

كذلك كانت دعوة سيدنا عيسى تقوم على الحب،والتسامح، والسلام :

وابن البتول دعا للسلم دعوته ... وقال طوبى لكم يا صانعي السلم

وأما سيدنا "موسى" عليه السلام فقد كانت دعوته لا تتجاوز الدعوة إلى الحب والسلام، على الرغم من عنت بني إسرائيل ، وعلى الرغم من خلفهم كل العهود والمواثيق التي أخذها عليهم، وما كان ذلك من سيدنا موسى إلا استجابة لأوامر ربه في الدعوة إلى السلام:

وفي وصايا لموسى الكل يعلمها ... لا تقتل الناس لا تكذب ولا تضم

كذلك يرمز الشاعر إلى دعاء سيدنا "إبراهيم" عليه السلام ربه أن يجعل مكة بلدا آمنا مطمئنا ، ينعم بالخير، وتهوي إليه الأفئدة،ولا أمن ،ولا رخاء ،ولا نزوح إلى مكة إلا حيث السلام

وقد دعا الله إبراهيم مبتهلا ... بالناس تهوي لهم والخير والنعم

وفي محاجة فقهية يقرر الشاعر :إن من ينكر على السادات دعوته للسلم، فقد اتهم الأنبياء والرُسل بالنقص، وإن من يفعل ذلك عليه أن يستغفر ربه، لأن الأنبياء معصومون من الوقوع في الخطأ، وكأن الشاعر يلوح من خلال ذلك إلى أن "السادات" إنما تقفى أثر الأنبياء في الدعوة للسلام، وأن من يعيبه فكأنما عاب أمرا قررته الشرائع ،ودعت إليه الرسل.

ومن تناول داعي السلم متهما ... يستغفر الله إن الرُسل في عصم

أقال سبحانه للسلم إن جنحوا أم قال بل فارفضوا فاصغوا إلى الحكم

لقد تبدى من الأبيات السابقة أن الشاعر قد لجأ إلى استدعاء الحقائق ،بما ساق من مواقف الأبطال، وبما دعا إليه الرسل، وبما أمر الله به من الجنوح للسلم، وهو إذ يقرر ذلك فكأنما يخاطب عقول أولئك الرافضين ،يستحثهم ،ويحضهم، ويواجههم بما دعت إليه الشرائع إنها دعوة إلى كل طوائف الأمة أن تستجيب لنداء السلام ، لا الحرب.

والشاعر "أحمد مخيمر" من الشعراء الذين هتفت حناجرهم بالسلام ، وللسلام متخذا من القيم الإسلامية التي حثت على السلام ما يجابه به الرافضين، يقول : (١٢)

إن السلام نداء الله فاستمعوا إلى الذين به قاموا ينادونا
فإن تزوا أنهم للسلم قد جنحوا وأنهم حين صانوه يخونونا
فما سددنا طريق الحرب نمنحكم من القتال.. وأنتم مستعدونا

من الملاحظ أن معظم الشعراء قد استلهموا قول الله تعالى : {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ..الآية} ووظفوا معنى الآية في معالجة قضيتهم ،وهنا يخاطب "مخيمر" الرافضين يحثهم على طاعة أولي الأمر الذين يأمرون بما أمر الله به،وفي عدم الاستجابة مخالفة لنداء الله .

ويتكرر هذا المعنى على لسان الشاعر "محمد البرعي" مخاطبا الوفد الإسرائيلي الذي زار مصر للتجهيز للتوقيع على المعاهدة حيث يقول في قصيدته "تحية المؤتمر" :(١٣)

سعينا للسلام وقد سعيتم ونحن السابقون الأكرمونا
لنا الفضل المعلى إن بدأنا وفخر أن نكون البادئينا
فنحن المسلمون فإن جنحنا لسلم فاجنحوا حبا ولينا
هو الإسلام دين الله سمح أقام العدل والخلق المتينا

يؤكد الشاعر أن دعوة مصر للسلام لم تكن أحادية الجانب، ولا عن ضعف أجبرها عليه إنما هو سعي مشترك، وغاية طمح لها الطرفان ، وإن كانت مصر قد بادرت بالسلام فهذا من قبيل التفضل (وفخر أن نكون البادئينا) ومن قبيل الاستجابة لدعوة الإسلام التي تدعو للتسامح والعدل ،والأخلاق. (هو الإسلام دين الله سمح)

أما الشاعر "محمد عبد المنعم إبراهيم" [14] فيدعو لقبول السلام لأنه أمر الله أولا ،ثم هو سلام عادل ،جاء بعد نصر، ومن منطلق قوة ، يقول:( )

أحدثت في سمع الزمان دويا ... وسرت في حب السلام عليا
ودعوت قومك للسلام كرامة ... ومنحت نصرا غاليا وقويا
والسلم بعد النصر أشرف غاية ... فاسلم وحارب واثقا وقويا
والله يأمر بالسلام إذا الورى ... جنحوا له والنصر كان سويا
والسلم والإسلام دعوة عابد ... حفظ الأمانة مخلصا وسويا

لقد اتكأ الشعراء على تلك القيم الإنسانية ،والمثل الرفيعة التي يدعو إليها الإسلام من وجوب الانقياد إلى داعي السلام ، واتخذوا منها دافعا للدفاع عن السلام ومجابهة رافضيه ، وقد تنوعت خطاباتهم تنوع مخاطبهم ، وعلى مقدار رفضه ، وقدر حججه

٢ـ مجادلة رافضي السلام والتنديد بهم:

كثير هؤلاء الذين رفضوا السلام، سواء أكانوا من مصر ، أم من الشعوب العربية وقد كانت لهم حججهم ،ورؤاهم الخاصة نحو فلسفة الرفض، ومن ثم تباين خطاب المؤيدين للسلام لهؤلاء الرافضين ، وباستقراء ما أمكن جمعه من شعر تبين أن مجادلة الرافضين نالت الجانب الأكبر من عناية شعراء السلام ، وأن المحور الرئيس الذي دارت حوله معاني التنديد والمجادلة دار حول نفي اتهام مصر التخلي عن القضية الفلسطينية ، الأمر الذي دفع الشعراء إلى اللجوء لأسلوب المقابلة والمفارقة للموازنة بين موقف مصر وموقف الدول العربية من القضية لفلسطينية، وقد أكد الجميع أن مصر قد ضحت في سبيل الأمة العربية بكل مواردها المادية والبشرية ، بينما وقف دفاع تلك الدول على بعض الدعم المادي ، وكثير من الخطب والأشعار في المحافل والمؤتمرات.

من قصيدة بلغت ثلاثين بيتا للشاعر "خليل فوز" جعل عنوانها "يا داعي الرفض" جادل فيها كل الرافضين يقول فيها: [15] ( )

يا داعي الرفض يا مستضعف الهمم ... ألا تثوب لصوت العقل والحكم
تقول غيّا ولا تصغي إلى رشد ... أتطلق الفم والآذان في صمم
حرب الحناجر أم حرب الدماء ترى ... فقد عهدناك تهوى الحرب بالكلم
يا من تخوض غمار الحرب في خطب ... وتحرز النصر تلو النصر بالتهم
لا يحرز الناس نصرا بالصياح ولا ... إن تتقن الشتم والتجريح تقتحم

إن المتأمل في تلك المقدمة تتكشف له في وضوح ملامح المخاطب وقد رسمها الشاعر بعناية فائقة بحيث أبرز الخواء العقلي، والضعف الفكري لدى هؤلاء الرافضين، وتتجلى تلك الملامح في الدلالات المعجمية لما وصفهم به من صفات، فالرافض: (مستضعف الهمة) (لا يعقل) ثم إنه إن تحدث (يقول غيا) وإن خوطب ،ونصح (لا ينصغي إلى الرشد) (يهوى حرب الكلام) و(يخوض غمارها بالخطب) و (يحرز النصر وهما بالغناء)

لقد جرد الشاعر هؤلاء الرافضين من كل عقل، وعرض بهم في مفارقة رائعة بين أقوالهم وأفعالهم، فهم يرفضون السلام ويدعون إلى الحرب، وهم في الوقت نفسه ضعيفو الهمة، خائرو العزيمة، يدقون طبول الحرب، ويشعلون فتيلها، ثم لا يخوضون غمارها إلا بالكلام والخطب، بل إنهم يتوهمون انتصارات حققوها يتغنون بها.

وتصحيحا للمعتقدات الخاطئة للحرب لدى هؤلاء الرافضين ، يرسم الشاعر الصورة الحقيقية للحرب كما عرفها المصريون، ومن خلال ذلك يدلل على عدم قدرة هؤلاء على الحرب وويلاتها، وعدم معرفتهم بعلومها، وخططها :

ما عادت الحرب قنصا بالرماح وإن	عادت فرزت فرار الخائف الهدم
فالحرب بالعلم والتخطيط منهجها	إن يخلص العزم بالتسليح تنحسم
والمال عندك، والتسليح تجلبه	والحرب دونك ما ينهاك عن قدم

ما زال الشاعر يسخر من قدرات هؤلاء الرافضين للسلام ، الداعين إلى الحرب الذين يعيشون بمعزل عن العالم ،وما طرأ عليه من متغيرات علمية، وتكنولوجية، ولا أدل على ذلك من أنهم مازالوا يعتقدون أن القتال مازال بالرماح ، فينفي الشاعر أن تكون أسلحة الحرب في زماننا كذلك ، وحتى لو أنها كانت كذلك لفر هؤلاء فرار الجبناء، إن غاية الشاعر من تصحيح هذا الفهم يكمن في رغبته تصوير جبن هؤلاء الذين إن دخلوا الحروب قاتلوا من وراء حجاب، شانهم شأن من يرمي بالرماح ، لا من يحمل السيف ويواجه به عدوه.

إن هؤلاء الرافضين للسلام وإن ملكوا المال، واستجلبوا الأسلحة ، فليس معنى ذلك أنهم قادرون على خوض الحروب، فأمثالهم مشغول بشواغله، مصاب بداء الجبن الذي ينهاه عن الحروب.

وفي لوحة ثالثة يشخص الشاعر داء الرفض عند العرب ويجعله راجعا - في اعتقاده - إلى كراهتهم مصر، ورغبتهم في أن تظل وقودا للحروب، ومصدرا لدر الأموال عليهم :

الرفض في الحرب ثم الرفض في السلم ... ألا ينام دوام الرفض عن زعم[16]
هل ترفض السلم أم تأبى سلامتنا ... حتى تظل وقود الحرب للكزم ( )
هل تطلب الحرب أم ترجو لنا حربا ... لكي تدر عليك المال بالرزم

ولا يخفى أن الشاعر قد لجأ إلى أسلوب الاستفهام ، وصنع من خلاله حوارا ،ومجادلة عن طريق ما ألقاه من مقابلات ، وما عرضه من خيارات ألقاها على مخاطبه ، لينفذ من وراء ذلك إلى فساد غايته، وسوء سريرته، ولننظر إلى هذه التساؤلات :(هل ترفض السلم ؟) (أم تأبى سلامتنا؟) (هل تطلب الحرب أم ترجو لنا حربا؟) وكيف جسدت علة الرفض عند هؤلاء الرافضين.

ويختتم الشاعر قصيدته وقد تجاوز منطق الحوار، والمجادلة، فيعلو صوته، وتتدفق عواطفه ، وتنهمر مواقف العرب المتناقضة على ذاكرته ، فإذا هو يقف بنا أمام واحد من المواقف المخجلة ، ليصور من خلاله الكذب،والادعاء، حين اتهموا مصر بالتفريط في حق الشعب الفلسطيني بقبول معاهدة السلام ، وقد كانوا هم أشد خطرا على الفلسطينيين من أعدائهم ، وفي ذلك تأكيد على دعوى الشاعر في الأبيات السابقة، وتدليل على مصداقيته مما يجعل كلامه سائغا لدى المتلقي ، وقد دلت الأبيات بما ورد فيها من أحداث أن الشاعر معنيٌ في خطابه بالنظام السوري ، واللبناني الذي قاد حملة الرفض مع الرافضين ، ومن ثم يخاطبه رافضا رفضه، ناعيا عليه زيفه ،مذكرا إياه بما فعلت يداه في معسكرات الفلسطينيين :

لا ترفضوا نهجنا بل نحن نرفضكم ... ونرفض الزيف والتفريط في الذمم
تزايدون على من أرخصوا دمهم ... يأبى الغشيم سوى الإغراق في القشم[17] ( )
ورفضكم تقتلون الآخرين به ... فأبشروا بعذاب الله والنقم
سالت دماء الضحايا في معسكركم ... غدرا وحامي حمى الأوطان في شبم[18] ( )
أما قتلت بتل الزعتر النفر الـ ... ـذي تحامي له بالرفض فاحتشم[19] ( )
تدير ظهرك للأعداء محتميا ... بهم وتقذف صدر الطفل بالحمم
فما طعامك إلا لحم من قتلوا ... وما شرابك صرف بل مزيج دم
ألا تزال تلوك الخبز بالأدم ... فالآخرون بكم عاشوا على الرشم

عـلا صـراخ اليتـامى في مخيمـهم ... يـا سـاكن القـصر أدرك سـاكن الخيـم
مـاذا انتظـارك يـا مـستثمرا محنـا ... عـز الرجـال أم الفرسـان في وخـم[20]
إن كنـت تبقـي عليهم هـل تخفـا لهم ... أو هـل بـذلت لهـم مـن مالـك الجـمم
يـامترف العيـش مهـلا لا تمـن علـى ... من يركب الصعب كي تمشي على الرخم

لقد حمل الشاعر على الرافضين للسلام ،ولم يقتصر على محاولة الإقناع والمجادلة،ولم يكن ليحق له هذا الاقتصار، إنما جأر بأعلى صوته: (نحن نرفضكم) لكن حين ترفض مصر فإن رفضها مبنيٌ على علات، ومرتكزٌ على أسباب، مصر ترفض(التزييف) ترفض (التفريط) ترفض من يزايد على مواقفها الخالدة.

وفي سبيل التأكيد على زيف دعاوى هؤلاء الرافضين ،يرسم الشاعر لوحة سوداء الجوانب، مظلمة الأركان، تنهمر منها دماء الشهداء الأبرياء من اللاجئين الفلسطينيين الذين قتلتهم يد من يدعي الدفاع عنهم ، وقد كانت مجزرة "تل الزعتر" شاهدا على هذا الغدر ودليلا واقعيا على الكذب، ولعل من أهم ما اعتنى به الشاعر في هذه اللوحة تلك القرائن والأدلة التي ساقها ليواجه بها هؤلاء الرافضين، وقد كان في مقدمة القرائن تلك الدماء البريئة التي روت ساحات المعسكر ، ثم إنها أريقت (غدرا) وكأنه يذكّر السوريين أنهم كانوا الأمل لدى اللاجئين الفلسطينيين ، فإذا هم الألم، وإذا اللاجئون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ثم تعلو نبرة الشاعر ويتخذ من الاستفهام وسيلة للتأكيد على عدم قدرة مخاطبه على الإنكار ،إذ أنه يقرر واقعا لا يمكن إنكاره،(أما قتلت بتل الزعتر النفر الذي تحامي له بالرفض)

ومن عجب أن يكون هؤلاء القتلى هم أنفسهم من كانوا السبب لدى رافضي السلام بحجة الدفاع عن قضيتهم، ولما كان هذا الأمر خارجا عن تصرفات العقلاء ،بعيدا عن أدنى مراتب الذوق، كان أمر الشاعر لمخاطبه (احتشم) وكأنه قد تجاوز كل حدود الحياء لما ادعى أنه رفض السلام من أجل المحافظة على حق الشعب الفلسطيني، وهو في الوقت نفسه من قتلهم، وأسال دماءهم.

أما قتلت بتل الزعتر النفر الـ ... ـذي تحامي له بالرفض فاحتشم

ويمضي الشاعر في رسم عناصر لوحته متكئا على عنصر المقابلة بين أفعال وأقوال هؤلاء الرافضين،ليكشف عن عوارهم ، ويبين عن حقيقة ما قدموه للشعب الفلسطيني فهؤلاء (يديرون ظهورهم لأعدائهم) ولاشك أنه يقصد العدو الصهيوني،وفي الوقت نفسه (يقصفون صدور الطفل بالحمم) فما أروعها بطولة تلك التي تتخذ من أطفال اللاجئين عدوا يظهرون من خلاله قدراتهم ومهاراتهم القتالية، إذ مزقوا صدور الأطفال، ويقروا بطولتهم، وحتى هذه البطولة ما كان لهم أن يحققوها لولا أنهم قد احتموا بالعدو الصهيوني في إنفاذ ذلك.

تدير ظهرك للأعداء محتميا بهم وتقذف صدر الطفل بالحمم

وما أروع تلك الأبيات التي ختم بها الشاعر لوحته ، وهي تجسد آلام اللاجئين وترسم معاناتهم شاخصة أمام أبصارنا، وكعادة الشاعر كانت المقابلة وسيلته،كما كان التركيز على تصوير المعاناة الإنسانية للاجئين غايته، فمن طريق الاستفهام يسخر الشاعر ويتعجب مخاطبا هذا الرافض: (ألا تزال تلوك الخبز بالأدم) ولعل العجب لا يكمن في كونه يأكل الخبز بالأدم، إنما العجب فيما دلت عليه المقابلة (واللاجئون بكم عاشوا على الرشم)ولا يخفى أن الجار والمجرور في قوله (بكم) قد أوقع المسئولية على هؤلاء ، غير أنهم ما كانوا أهلها، فقد تركوا اللاجئين يعيشون على نفايات الطعام ،(الرشم) بينما نعموا هم بحياتهم ،بل إن هذه النفايات قد عدموها لما اشتد عليهم الحصار، ومن ثم فقد تعالت صيحات الصغار والكبار لعل مغيثا يغيثهم، أو معينا يعينهم، لكن هيهات هيهات فقد حالت شرفات القصور دون سماع صرخاتهم ، ولسان حالهم يقول:قد أسمعت لو ناديت حيا

علا صراخ اليتامى في مغيمهم يا ساكن القصر أدرك ساكن الخيم

وفي استفهام تعجبي ساخر يتساءل الشاعر :إلى متى هذا الانتظار؟ أهو عن قلة فرسان أبطال؟ أم أنكم لا تجيدون القتال لما ثقلت أبدانكم ،وأتخمت بطونكم ؟ وتزداد السخرية بوصف الشاعر لهؤلاء الرافضين بقوله : (مستثمرا محنا) فهؤلاء يتاجرون ،ويتكسبون بمصائب الآخرين، وما أقبحها تجارة ،وما أخسره من ربح.

ماذا انتظارك يا مستثمرا محنا عز الرجال أم الفرسان في وخم ؟

وما زال الشاعر يطارد هؤلاء الرافضين وقد اتخذ من الاستفهام سلاحا يكشف به عن حقيقتهم فمن المسلم به أن من يدافع عن غيره يبذل نفسه،في سبيل ذلك،فهل فعلت أيها الرافض ذلك ؟(إن كنت تبقي عليه هل تخف لهم)؟ وإذا كنت غير قادر على بذل النفس (هل بذلت لهم من مالك الجمم ؟) لعل الشاعر بهذا البيت قد جسد لنا حقيقة هذا الرافض ، وأنه لا يملك سوى التضحية بالكلمة ، أما التضحية الحقيقية فهو أبعد ما يكون عنها، فهؤلاء ما ضحوا من أجل فلسطين لابنفس ، ولا بمال ، بل إنهم أعانوا عليهم عدوهم وتخلوا عنهم ، وحققوا من ورائهم منافع لهم جعلتهم في (غد من العيش، إنها الصورة التي تناقض الموقف المصري الداعم دائما للقضية الفلسطينية بالأفعال لا الأقوال.

يا مترف العيش مهلا لا تمن على من يركب الصعب كي تمشي على الرغم

****

وفي قصيدة أخرى للشاعر خليل فوازتجاوزت أبياتها مائة بيت ، جعل عنوانها "مصر لا تنحني" يخاطب فيها دول الرفض، متخذا من قرارهم قطع العلاقات مع مصر ونقل جامعة الدول العربية من مقرها في القاهرة إلى تونس محورا رئيسا قاده إلى العديد من الأفكار التي تدحض زيف افترائهم ، وتدمغ شتى تقولاتهم .

ففي مطلع القصيدة يسخر الشاعر من قرار قطع العلاقات مع مصر وقد ظن العرب أنهم بذلك قد عزلوا مصروأجبروها على الخضوع لإرادتهم ، وأن المقاطعة ستصيبها بالشلل واضطراب التفكير ،وأنها ربما تعدل عن قرار السلام ، لذا يخاطبهم بأعلى صوته (٢١):

قاطعونا إن استطعتم عقابا أثراكم ستقطعون الرقابا
هل حسبتم بقطعكم لصلات أننا نفقد العقول اضطرابا
إن رأيتم عقابنا بوداع وذعرنا وأشعرونا عقابا
إنما نحن في البلاء لأنا نحمل العبء عنكم والعذابا
أن يكون الغياب أو أن تكونوا أوصياء ألا أطيلوا الغيابا
إن شر العقاب في أن تعودوا لا نرى في الغياب إلا ثوابا
واتخذتم بنقل جامعة العر ب قرارا بلا استناد فخابا

إن المتأمل في الأبيات السابقة يستشعر مقدار هذا التهكم، وتلك السخرية من قرار العرب قطع علاقاتهم بمصر، وأن هذه القطيعة لا تمثل أدنى عقاب، أو تحدث أقل

اضطراب لذا يكرر الشاعر دعوته لهؤلاء الرافضين بالتمادي في القطيعة ،ولنلحظ ذلك في قوله (عاقبونا ـ أشبعونا عقابا ـ أطيلوا الغيابا ـ لا نرى في الغياب إلا الثوابا) ولعل قوله (إن استطعتم عقابا) يجسد الخور وعدم القدرة لدى هؤلاء الرافضين ،كما يعكس في الوقت نفسه عظمة مصر، وعدم تأثرها بالمقاطعة، ولعل هذه الطريقة أيضا أكثر إيلاما وأدل على فشل هؤلاء ، وأن القطيعة لم تحقق ماتمنوا.

ويواصل الشاعر تعريضه بالرافضين للسلام، ويرسم لوحة اختلط فيها الفخر بالحماسة وتآزرت مفردات اللغة مع أحاسيسه، وانسجم الخيال مع فكره، ليعزف لحنا من العزة والكبرياء، ينفذ من خلاله إلى أن مصر لن تستسلم لدعاوى هؤلاء الرافضين ، ولن تتأثر بها لما تمتلك من مقومات الريادة ، والقيادة منذ القدم :

مصر لن تسلم القياد لزهط ... جعلوا الرفض للعيون عصابا
مصر لا تنحني وفيها رجال ... رفعوا الرأس للسماء انتصابا
مصر تبقى على الزمان إماما ... وبنوها على الورى أقطابا
نحن شعب عاش الحياة نضالا ... كلما اشتدت الخطوب أهابا
نحن سدنا زماننا منذ وعينا ... وركبنا ولن نكون ركابا
نسبق الناس في الفعال ويسري ... قولنا الحق قاطعا مستجابا .

وواضح في الأبيات السابقة كيف لجأ الشاعر إلى التكرير تأكيدا للمعنى من جهة واستجابة للموقف الذي فرض عليه أن يردد فضائل مصر وعظمتها الخالدة من جهة ثانية وقد تبين ذلك من خلال تكريره اسم "مصر" ثلاث مرات في صدر كل بيت ، ثم لجوؤه إلى النزعة الاستعلائية من خلال ضمير الجماعة "نحن" في صدر البيتين التاليين، والبيت الأخير .ولم يكن ذلك مجرد ادعاء ،إنما يأخذنا الشاعر إلى حيث الحقائق التي لا تنكر ،فعظمة مصر تكمن فيما حباها الله من رجال هم خير أجناد الأرض (فيها رجال رفعوا الرأس للسماء انتصابا) ثم ذلك الدور الرائد والذي جعلها على مر الزمان للناس (إماما) وجعل أبناءها (أقطابا) يقودون ولا يقادون (ركبنا ولن نكون ركابا) يسبقون غيرهم بأفعالهم (نسبق الناس في الفعال) ولا ينطقون إلا الحق (قولنا الحق) .

وكأن لسان حال الشاعر يردد :إن من حاز هذا الشرف، وامتلك تلك المقومات هل له أن يسلم القياد لغيره؟! وهل له أن ينحني لأحد؟!

ولما كانت القضية الفلسطينية حجة وذريعة لرفض السلام لدى الرافضين ،حيث خلت المعاهدة من الإشارة الصريحة إلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، مما جعلهم يتهمون مصر بالتخلي عن هذه القضية ، التقط الشاعر هذا الاتهام ، وعرضه على ذاكرة التاريخ التي أبت إلا قطع ألسنتهم ، وتفنيد حججهم ، من خلال التذكير ببعض مواقف مصر الخالدة تجاه القضية الفلسطينية:

لفلسطين قد حملنا لواءً	وغزونا لها قلاعًا صعابا
وأعزنا مجاهديها لسانًا	وفتحنا لأهلها الأبوابا
واحتفظنا لهم بكل حقوق	وسلبتم كل الحقوق استلابا
وفقدنا لنصرهم شهداء	وقتلتم شيوخهم والشبابا
أنسيتم دم الشهيد بيوم	أسود من أيلول بالقتل ثابا
وتلال الدمار بعد جثوم	فوق لبنان تفرضون انتدابا
أنتم الخائنون لما امتنعتم	عن حروب وترفضون انسحابا
أنتم المجرمون لما قتلتم	لاجئيهم وتصدرون عقابا
ترفضون السلام حرصًا عليهم	إنما تفعلون شيئًا عجابا
يقتل القاتل القتيل ويبكي	في صفوف المشيعين انتحابا

من المسلم به أن التزام مصر بالقضايا العربية لا يمكن أن يكون محل شك أو اتهام ومن المعروف أن الجهود التي بذلتها مصر طوال مؤتمر كامب ديفيد ، وخلال مباحثات واشنطن من أجل القضية الفلسطينية هي أضعاف الجهود التي بذلتها من أجل مشكلة سيناء ولعل ذلك كله كان سببا في ثورة الشاعر ، وخطابه اللاذع، وتسليطه الضوء على بعض ما قدمته مصر للقضية الفلسطينية ، وقد دل الشاعر ببناء الجملة الفعلية ، وبالدلالة المعجمية للأفعال على حقيقة هذا الدور ،ولنتأمل الأفعال في قوله: (حملنا ـ غزونا ـ أعزنا ـ فتحنا ـ احتفظنا ـ فقدنا) فكلها أفعال تقتضي عناءً نفسيا ،وبدنيا ، بدلالتها المعجمية، كما تفيد تحقق وقوعها بدلالتها الزمنية، وتدل من جانب آخر على تضحيات مصر فهذه الأفعال تحمل بعدا سلبيا يمثل الفعل ، وآخر إيجابيا يمثل النتيجة ، أما الفعل فهو ما قامت به مصر وتحملت من أجله عبء الحمل، والغزو، والفقد ، وأما النتيجة فهي ما عادت على الفلسطينيين من نواتج تلك الأفعال ، وكعادة الشاعر في اللجوء إلى أسلوب المقابلة وسيلة من وسائل الكشف عن الدور الزائف لهؤلاء الرافضين يقرر :إن مصر حفظت لفلسطين الحقوق، وهم (سلبوهم كل الحقوق استلابا) ومصر فقدت

أبناءها ،وهم (قتلوا شيوخهم والشبابا) ولعل هذه المفارقة قد جعلت الشاعر يلجأ إلى الجملة الاسمية في سبيل تقرير بعض الحقائق التي لا يمكن إنكارها ، ولنتأمل قوله : (أنتم الغائنون) (أنتم المجرمون) وما يوحي به من أن هؤلاء - لا غيرهم - ما قدموا لفلسطين سوى الإجرام، والخيانة ،وما أروع هذا التصوير الساخر وقد ختم به الشاعر تلك اللوحة :

يقتل القاتل القتيل ويبكي في صفوف المشيعين انتحابا

إنها طبيعة الكذابين المنافقين، وأفعال الأدعياء المتلونين ، يخادعون الناس بحلو كلامهم، ويكشون لهم نيرَ عداوتهم وإهمالهم، ولعل ذلك كله قد جعل الشاعر يصرخ في وجوههم متعجبا: (إنما تفعلون شيئا عجابا)

وتتعدد ألوان الخطاب في مطولة "خليل فواز" لتتماشى مع سياقات المواقف التي يعرض لها، ونقف هنا مع لوحة أخرى في سياقات التنديد بالرافضين للسلام وقد اعتمد الشاعر في بنائها على أسلوب المقابلة، أو المفارقة، لتكون أجلى للحقيقة، وأنكى للمخاطب وفيها تظهر مصر بماضيها، وحاضرها، بأفعالها، وأقوالها، وأحوالها، بما قدمت، وبما تقدم وعلى الجانب الآخر تظهر تلك الدول لتباين مصر ، وتفارقها في ذلك كله ، وفيها يقول :

أيها المترفون إنا اتخذنا موقف الحق واتخذتم معابا
نحن خضنا الحروب جيلا فجيلا واجتنبتم خوض الحروب اجتنابا
وربطنا مصيرنا بالقضايا وانتسبتم إلى القضايا انتسابا
هل بذلتم دماءكم كدمانا بل صنعتم من الدماء شرابا
هل أحلتم عماركم لطلول بل بنيتم على الطلول قبابا
كم شربنا من الشراب كريها وشربتم رحيق شهد مذابا
كم لبسنا من الثياب فنرادى وأخذتم تبدلون الثيابا
وسكبنا من الدموع سخينا وسكبتم عليكم الأنخابا
وعددنا على السنين قبورا وعددتم رصيدكم والحسابا
أنذوق الطعام مرا وأنتم تنهمون الطعام لذا وطابا
أنخوض الحروب دهرا وأنتم تشترون الحسان بيضا عذابا

لقد استخدم الشاعر في الأبيات السابقة أسلوب التقابل بين المعاني، فأشعل لغة النص وأعطى للقصيدة حيوية ، ونوعا من الجدل غير المسموع ،كما لوح إلى الشئ ونقيضه، بما يثير الذهن، ويوقظ الفكر، ثم نراه وقد خرج عن طريقته السابقة القائمة

على الوصف خروجا حميدا، لينفعل هنا بالموقف، بحيث جعلنا نستشعر غضبته وهو يخاطب رافضي السلام وقد جلجل صوته، وتلألأت عباراته، ودقت معانيه، ورق خياله، ولعلنا نلحظ حيوية هذه اللوحة وقد صدرها بالنداء (أيها المترفون)وما يدل عليه من طلب اليقظة والتنبه ،ثم كان التقرير (إنا اتخذنا موقف الحق) كناية عن الدعوة للسلام ، أما أنتم فقد (اتخذتم معابا) يعني : رفض السلام والتنديد بمصر، وفي التعبير بقوله (معابا) كناية عن عظيم جرمهم وقبيح فعالهم ، بحيث يظل العيب وصمة ملازمة لهم ، لا تنفك عنهم .

وانطلاقا من هذين الموقفين ، موقف مصر الداعي للسلام، وموقف الدول العربية الداعية للرفض ، راح الشاعر يعرض للطرفين في إطار من التقابلية بين الأفعال، والأقوال والأحوال، وقد كانت الحرب أول مقابلة يعقدها بين الطرفين ، فعن مصر يقول: (نحن خضنا الحروب جيلا فجيلا)ولعل دلالة الفعل (خاض) توحي بالممارسة الفعلية للحرب وتغشي ميادينها ، والاكتواء بنيرانها ، كما يدل قوله (جيلا فجيلا) على أن قضية فلسطين قد حمل همها المصريون منذ نشأتها ، وأن الأجيال توارثت عبء الدفاع المستمر عنها حتى وقتنا هذا،وفي المقابل يقول عن الرافضين (اجتنبتم خوض الحروب اجتنابا) ولعل التأكيد بالمفعول المطلق (اجتنابا) يضيف إلى الدلالة المعجمية للفعل (اجتنبتم) بعدا آخر يدل على أن هؤلاء الداعين إلى الحرب لا صلة لهم مطلقا بالحرب .

ثم تتوالى بعد ذلك الصور التقابلية ،وقد تنوعت موضوعاتها ، وتعددت مراميها ولنتأمل تلك المقابلة بين قوله (وربطنا مصيرنا بالقضايا) وقوله: (وانتسبتم إلى القضايا انتسابا) ولندرك الفرق الدقيق بين الدلالة المعجمية للفعلين ((ربط،وانتسب) فالأول يوحي بالشدة والملازمة، والمرابطة، ويشي بدلالات ذات قداسة شرعية، فقد ارتبط الرباط،والمرابطة بملازمة ثغر الأعداء،كما ارتبط بالمحافظة على الشعائر الإسلامية ، يدلنا على ذلك قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) * وقوله صلى الله عليه وسلم (فذلكم الرباط) وإذا كانت علاقة مصر بالقضية الفلسطينية هي تلك التي دل عليها الشاعر من خلال إيحاءات ودلالات الفعل (ربط) فإن علاقة تلك الدول

بقضية فلسطين بجسدها ـ أيضا ـ الفعل (نسب)بما يوحي به من ادعاء، وصلة لا تصل إلى حد الارتباط.

وفي محاورة كان الاستفهام أداتها، والمقابلة بنيتها ،والتضحية موضوعها ،يطوّف بنا الشاعر في ميادين الاستشهاد والفداء ويسأل هؤلاء (هل بذلتم دماءكم كدمانا) ثم يجيب : (بل صنعتم من الدماء شرابا) ويسأل: (هل أحلتم عماركم لطلول) ويجيب (بل بنيتم على الطلول قبابا) وواضح ما في البيتين من رمز يصور قعود همة هؤلاء ، وعنايتهم الشديدة بأحوالهم الخاصة ، ولعل هذه العناية قد جعلت الشاعر يرصد بعضا من ظواهرها ، ففي الوقت الذي عانت فيه مصر من ضيق حالها نتيجة الحروب، عاش هؤلاء في ترف ورفلوا في النعيم، وأتخموا من النعمة ، ولا ضير في ذلك لولا أنهم قد تناسوا الحق عليهم ولننظر إلى هذه المفارقات التي تجسد هذا الموقف: (شربنا من الشراب كريها ـ شربتم رحيق شهد مذابا) (لبسنا من الثياب فرادى ـ أخذتم تبدلون الثيابا)و(سكبنا الدموع ـ سكبتم الأنخابا (عددنا القبور- عددتم رصيدكم) و (نذوق الطعام مرا ـ تنهمون الطعام لذا وطابا) ونختتم جولتنا مع الشاعر خليل فواز * وقد أوجز موقف مصر من السلام بأنه قدر الله وهدايته وأنه جاء من منطلق القوة ،لا الضعف :

علم الله أننا شهداء فهدانا إلى السلام ثوابا
وجنحنا للسلم بعد انتصار فحقنا الدماء شمنا صلابا

****

ولم يكن خليل فواز وحده متفردا بالتنديد برافضي السلام ، إنما شاركه التنديد جمع وافر من الشعراء، وقد كان لكل شاعر خطابه الشعري المعبر عن موقفه الخاص، ورؤيته التي انطلق من خلالها مدافعا عن السلام، هاجيا خصومه.

وها هو الشاعر مأمون الشناوي* يلجأ إلى أسلوب الهجاء اللاذع ، والسب الصريح لهؤلاء الرافضين ، ردا على سبابهم ،يقول في قصيدته "إلى محترفي الرفض" :

ألا أيها الرافضون السلام لعنتم جميعا بكل كتاب
صدعتم بأمر من الملحدين فغاصت أنوفكم في التراب
هرعتم لدعوة مجنون ليبيا وكل له مطمع في الذهاب

أحترفي الرفض ليس الكفاح ... النباح وليس النضال السباب
فإن البطولة خوض الجحيم ... ودك الحصون ونسف الصعاب
لكم عذركم فارفضوا وانبحوا ... فمنذكم الرفض للرزق باب

الشاعر في الأبيات السابقة تسيطر عليه نزعة ثورية جامحة، أججتها مواقف الرافضين وأشعل جذوتها كذبهم المبين، ولعلنا إن علمنا أن الشاعر قد كتب هذه القصيدة في مطلع عام ١٩٧٨م ، أي بعد مرور ثلاث سنوات من إعلان مبادرة السلام، وقبل عام من توقيعها أدركنا أن جذوة الرفض كانت في قمة اشتعالها، وأن ثورة الغضب والتطاول على مصر قد بلغ من السماء عنانها، ومن ثم جاء خطاب "الشناوي" رد فعل لما صدر عن الرافضين .

وقد أحكم الشاعر أدواته الفنية في سجيل النيل من هؤلاء، ولا يخفى دور أداة الاستفتاح "ألا" في مطلع القصيدة، وما توحي به من أن أمرا عظيما خطيرا سوف يعلن عنه الشاعر ، هذا الأمر سوى الدعاء عليهم بقوله :(لعنتم جميعا بكل كتاب) ولهذه الجملة الدعائية أبعاد توحي بها، فما وقع اللعن من الله إلا على الذين كفروا، والمنافقين ، والسادة والقادة الظالمين، وكأن الشاعر ينزل الرافضين للسلام منزلة هؤلاء الملعونين،كما أن قوله (بكل كتاب) أسلوب يدل على استحقاقهم اللعن على لسان أهل الديانات جميعها، كما يشير قوله : (صدعتم بأمر من الملحدين) إلى قادة الرفض من حزب البعث السوري والعراقي وفي وصفهم بالملحدين بيان لعلة اللعن في البيت الأول ، كما يتخذ الشاعر من الدلالات والإيحاءات المعجمية للألفاظ وسيلة للتعبير عما يريد فكفاح الرافضين (النباح) ونضالهم (السباب) ولا يخفي هذا التهوين والتحقير من الشأن حتى إنه جعلهم كالكلاب ،بل إنه يلح على هذا الوصف في أكثر من موضع بالقصيدة ،وكأن لسان حاله يقول : الكلاب تعوي والقافلة تسير .

أحترفي الرفض ليس الكفاح ... النباح وليس النضال السباب
لكم عذركم فارفضوا وانبحوا ... فمنذكم الرفض للرزق باب

*****

ولا يكاد يختلف الشاعر "عبد اللطيف وكد" في رؤيته للرافضين عن الشاعر "مأمون الشناوي" فهم صناديد حناجر، وأبطال تلفاز، وأسود كلام ، لايعرفون للوغى ميدانا، حرام عليهم في شريعتهم أن تراق دماؤهم فداء للأوطان ، تعهدوا باسترداد فلسطين

فجيشوا لذلك قصائد الشعراء، وأشعلوا الحرب بأقلام الكتاب،يقول من قصيدته "هذي معاركهم"(٢٢)

أقدم ففار النصر للمقدام ... لا تخش لومة رافضين لئام
فهم صناديد العناجر وحدها ... أبطال تلفاز.. أسود كلام
أما المعارك حيث يشتد الوغى ... وتدور معركة الصدام الدامي
أما لقاءات الصناديد التي ... فيها الحياة تداس بالأقلام
فهو الحرام عليهم وتراهم ... بالشعر خير مسند أورام
قالوا: فلسطين السليبة أرضنا ... سنردها يوما من الأيام
بقصائد الشعراء تلقى مثلما ... تلقى السهام بساحة الإعدام
في كل بيت رمية محمومة ... فالخنجر المسموم كالصمصام
تصمي القلوب بنارها ودمارها ... إذ يشعلون الحرب بالأقلام

ما أروع تلك المعركة التي انطلقت في الساحات، وتغشت البيوت، وأثخنت العدو بسهامها وخناجرها، وأصمت قلبه بنارها، ودمارها، ما أروعها معركة لولا أنها كانت حرب كلام ، لاشك أنها السخرية والتهكم من أقوال وأفعال هؤلاء الرافضين، ولعل هذا التهكم قد جعل الشاعر يلجأ إلى أداة الاستفهام "أين" التي تتطلب وجود المستفهم عنه ، لينفي عنهم كل فعل يتصل بالحرب والتضحية من أجل فلسطين ،يقول:

أين الخنادق حين يندفن بينها ... بطل يصول كصولة الضرغام

إن غاية الشاعر في الأبيات السابقة أن ينفذ إلى أمرين، الأول منهما : الإخبار عن دور مصر وخوضها الحروب ، وتعرض أبنائها للاستشهاد، والثاني: تجريد هؤلاء الرافضين من هذا الدور، وقد حققت أداة الاستفهام هذه الغاية، وكأن الشاعر يقرر : لقد طاحت رقابنا ووقفنا أمام فوهات المدافع، وتعرضنا للصواريخ، وتسحبنا فوق الألغام، ودفنا شهداءنا بين الخنادق، أما أنتم فليس هذا في دستوركم (أما الدماء فليس في دستورهم) ولعل لجوء الشاعر إلى أسلوب الاستفهام أدل وأبلغ من التعبير المباشر في تجريد هؤلاء من كل دور بطولي حين يعجزون عن الإجابة ويسكتون .

وعلى النسق نفسه يدعو الشاعر "إدوار حنا" * دول الرفض إلى الدفاع عن فلسطين بالأسنة لا الألسنة، فمصر ما حالت دون مدافع عن فلسطين، يقول من قصيدته "إلى البعث الرافض" [٢٣]:

ماذا بذلتم للقضية غير إلهاب المشاعر
هذي فلسطين الحبيبة دونكم قيد النواظر
فاسترجعوها إن أذنتم بالأسنة لا الحناجر
أولا فثوبوا للهدى واستغفروا والله غافر

إن ثمة ما يشبه الإجماع من معظم الشعراء على أن سلاح الكلمة هو كل ما بذله الرافضون من أجل فلسطين ، وأنهم يجيدون تحريك العواطف ، وإلهاب المشاعر، الأمر الذي جعل الشاعر في الأبيات السابقة يدعو الرافضين إلى الدفاع الحقيقي عن فلسطين ، دفاعا بالسلاح وخوضا للقتال ،ولعل قوله : (هذي فلسطين الحبيبة دونكم قيد النواظر يوحي بعجز هؤلاء، ففلسطين ليست بالبعيدة عنهم ، بل إنها قيد النواظر ، فليذهبوا إذن إن أرادوا استرداد أراضيها، كما أن خيار الشاعر لهم (فاسترجعوها / أو لا فثوبوا للهدى) إن أتوا أي واحد منه ففيه إدانة لهم فهم عاجزون عن الاسترجاع فلن يسترجعوها، وهم إن ثابوا للهدى واستغفروا ربهم ففي ذلك إقرار بخطأ موقفهم ،وتأكيد على صحة موقف مصر، وهذا ما يريد أن يصل إليه الشاعر بتنديده وهجائه.

ومن قصيدة عنوانها "الرافضون" للشاعر "أحمد مخيمر" يصور في مطلعها مشاعر الألم التي أصابته من عبث الرافضين ، وزيف المنافقين، وأدعياء الدفاع عن فلسطين ، وقد كان أسلوب المقابلة ، والمفارقة وسيلته في التعبير عن معاناته، يقول مخاطبا الرافضين [٢٤]:

إنا نضحي وأنتم لا تضحونا — فما لكم يابني قومي تصيحونا
ونحن جدنا بما يرضي مطامحكم — وبالقليل ضننتم لا تجودونا
وقد أردنا لكم سلما يطول به — عمر السلام وأنتم لا تريدونا
حتى الدماء التي من أجلكم نزفت — جحدتموها فماذا بعد تبغونا

واضح في هذه الأبيات أن الشاعر قد لجأ إلى المقابلة بين موقف مصر من القضية الفلسطينية وموقف الرافضين للسلام بحجة الدفاع عن فلسطين ، وكأنما أراد من هذه

المقابلة أن يؤكد على نفي أي عمل عاد على فلسطين بفائدة من قبل هؤلاء ، ولنتأمل تلك المفارقات (إنا نضحي /وأنتم لا تضحونا) و (نحن جدنا / أنتم لا تجودونا) و (أردنا لكم سلما / أنتم لا تريدونا) كما يلحظ من قوله (حتى الدماء التي من أجلكم نزفت جمدتموها) إن هؤلاء ما قصرت أفعالهم فحسب ، إنما هم ينكرون على مصر حقائق أقرها الواقع ،وسجلها التاريخ مما يدل على طيشهم وعبثهم ، وزيف ادعائهم ، وبطلان رفضهم .

ثم يعرض الشاعر بأحاديث الرافضين الكاذبة ، وشجاعتهم المدعاة، ودفاعهم المزعوم وذلك من خلال دعوته لهم برفض السلام ، والدخول في الحرب من أجل فلسطين ،فهل تراهم فعلوا ؟!

فما سددنا طريق الحرب نمنعكم ... من القتال وأنتم مستعدونا
هذي فلسطين تدعوكم فيا عجبا ... مالي أراكم وقوفا لا تسيرونا

لقد أدرك الشعراء أن الرافضين على الرغم من رفضهم السلام لا يستطيعون للحرب سبيلا، ومن ثم راحوا يعرضون عليهم الدعوة إلى الحرب، واسترداد فلسطين، تدليلا على عجزهم،وتأكيدا على أنهم لا يجيدون سوى هتاف الحناجر،ومن أجل ذلك يقول الشاعر عبد الله الأنور فواز* :(٢٥)

قد حملتهم فلسطين قضيتها ... سلهم بربك هل قاموا بما احتملوا
ظلوا قرابة ثلث القرن ما التهبت ... إلا الحناجر حتى ما بها بلل
هم حروب ولكن لا عجاج لها ... وهم قنابل لكن ما لها شعل

وللشاعر "عامر بحيري" دعوة أخرى إلى الرافضين ، يدعوهم فيها للرجوع إلى الحق وعدم التمادي في الباطل ، مذكرا إياهم ما تحملته مصر من خطوب، وما جادت به من أرواح الشهداء، يقول فيها : (٢٦)

أيها الرافضون هلا ذكرتم ... ما حملنا من الخطوب الشداد
أعليكم أن تأخذوا المال عونا ... وعلينا للحرب جر العتاد؟
فدعوا المال واذكروا ما بذلنا ... من كريم الأرواح والأجساد
كم سخونا بأبحر من دماء ... فابذلوا اليوم قطرة من مداد
ولكتبوا أنكم رجعتم إلى الحق ... ولم تسلكوا سبيل التمادي

ومن قصيدة أخرى للشاعر نفسه نظمها مع رحلة السادات الأولى إلى إسرائيل في الحادي والثلاثين من نوفمبر ١٩٧٧م، يتعجب فيها من موقف الرافضين ، ويتساءل في سخرية عن حقيقة مايريدون ، يقول منها ([٢٧]) :

ماذا تريدونه يا سادة العرب ؟ ... حرب من الزور، أم سلم من الكذب
لا ينتهي عجبي مما أشاهده ... فهل يجئ زمان ينتهي عجبي
باعوا بلادهم بخسا بلا ثمن ... واليوم يشتكون من ظلم ومن حرب
حملت مصر عنهم كل معركة ... وحاربوا وحدهم بالشعر والخطب
وقدمت كرما أغلى شبيبتها ... كالورد تدفع عن دين وعن حسب

إن أبيات الشاعر تعكس ثورته الداخلية ، وتبين عن ضجره من هؤلاء وضيق صدره الأمر الذي جعله يتعجب مما يراه ،إذ كيف بمن باع بلده أن يدافع عن الآخرين ؟! وكيف بمن ضن بنفسه أن يجحد دور الشرفاء المجاهدين ؟! وقد لخص الشاعر الموقفين ـ المصري والعربي ـ بتلك المقابلة ، فمصر (تحملت عنهم كل معركة) و (وقدمت كرما أغلى شبيبتها) وهم (حاربوا وحدهم بالشعر والخطب) وليس بخاف البون الشاسع بين الموقفين .

ونختتم تلك الجولة مع الشاعر "كامل أمين" * من خلال قصيدته "مهزلة الرافضين" والتي ندد فيها بمعظم دول الرفض ،كاشفا عن ثرثرتهم ، وقبيح أفعالهم ، وقد رسم الشاعر في اقتدار ملامح هؤلاء الرافضين ، فمن موقفهم من القضية الفلسطينية والقضايا العربية نراه يجعل موقفهم لا يتجاوز الجهاد بالكلام :([٢٨])

كفاكم ضجة عشرين عاما ... وثرثرة وجبنا وانقساما
وجمجمة بلا طحن ،وأرض ... لدي الأعداء تلتهم التهاما
إذا كان السلام يعد جبنا ... أرونا في فلسطين الصداما

وفي سخرية ،وتهكم يرسم الشاعر صورا تكاد تكون مضحكة ، وإن كانت أقسى من رمي النبل ، ولنتأمل تلك اللوحة التي تجسد حقيقة هؤلاء في نظر الشاعر :

شعارات هنا وهناك فوق الـ ... ـمواخير التي اكتظت زحاما
عناترة الوغى شعرا ونثرا ... وأسرع من أرانبها انهزاما
من الحانات يقتحم الفداني ... فلسطين إلى القدس اقتحاما
ومن وحي المواخير استمد الـ ... ـخرائط ثم خطط ثم نامـا

لقد تبدت براعة الشاعر الفنية واضحة جلية في هذه الأبيات التي ترسم جوهر الرافضين، وذلك من خلال تلك اللوحة الحربية التي رسمها لحروبهم ، وقد حدد فيها كل ما تستوجبه الحرب من إعداد ، وتخطيط، وأبطال، ومواجهات، فأما الإعداد فشعارات توزع هنا وهناك ، اتخذ القرار بها من فوق المواخير وأما الأبطال فهم المعادل الرمزي لشخصية عنترة ابن شداد بإيحاءاتها البطولية المتفردة (عناترة الوغى) وأما سلاح أولئك المغاوير فلا يخرج عن كونه (شعرا ونثرا) وعلى الرغم مما يمتلك هؤلاء من مقومات البطولة الجسدية ، والسلاح الفتاك إلا أنهم سرعان ما ينهزمون (وأسرع من أرانبها انهزاما) وأما نقطة الانطلاق نحو فلسطين والأقصى فإنها تبدأ من الحانات ،وما أروع قوله في البيت الأخير :

ومن وحي المواخير استمد الـ خرائط ثم خطط ثم ناما

إن تلك الحرب قد استلهمت من وحي المواخير ، ولك أن تتصور ما توحي به مجالس الفاسدين ،ومجمع أهل الفسق ، وبيوت الخمارين لأولئك الذين فقدوا عقولهم، وقد رمز الشاعر إلى ذلك بقوله (خطط ثم ناما) وهذا شأن السكارى يشتد صياحهم ، ويتخيلون أفعالا فعلوها، ثم تهدأ ثورتهم فيغطون في النوم ،لا شك أنها صورة ساخرة ، ولوحة فنية ذات أبعاد نفسية تجسد موقف الشاعر من الرفض وأهله.

وهكذا تكاد تكون المعاني التي تددت وجادلت الرافضين قاسما مشتركا بين جميع الشعراء المؤيدين للسلام ، مما يجعلني أكتفي بما ذكرت من نماذج .

٢ـ مدح قائد السلام :

فتحت الفتوحات الإسلامية منذ عصورها الأولى أعين الشعراء على شخصية جديرة بالإشادة والمدح والتقدير، ألا وهي شخصية القائد، ومن ثم خلد الشعراء عددا غير قليل من القادة، وبخاصة أولئك الذين قادوا الجيوش، وحققوا الانتصارات، وحفظوا للأمة أمجادها وللأوطان ترابها، وللإنسانية حياتها ، وأبلوا في الميادين ما يشبه المعجزات، وقدموا من المواقف ما خلدها التاريخ ، ولم تتخلف نظرة الشعراء لقادة العصر الحديث الذي شهد من الأحداث جسامها ، وأنجب من القادة عظماءها، ولعل حدث أكتوبر ١٩٧٣م بحربه ، وسلمه يعد من أكبر أحداث الحرب قيادة، ونتيجة ، ومن ثم حظي الرئيس "السادات" بوصفه القائد العسكري بعناية الشعراء الذين عزفوا على قيثارة البطولة والشجاعة أعذب ألحانهم ، وأروع مدائحهم ، وبخاصة في مجال الإشادة بالدور البطولي في الحرب ، حيث

توخدت في هذا السياق ـ الحرب ـ كلمتهم، واتفقت غايتهم ، وتناغمت مدائحهم، ولا يعني ذلك أن السادات لم ينل عناية الشعراء في السلم، فإذا كان هناك الرافضون ، فهناك ـ أيضا ـ المؤيدون للسلام ، وهؤلاء هتفت حناجرهم تشيد بالقائد وتبارك دعوته، وباستقراء ما أمكن جمعه من شعر في هذا الإطار وجدت من الشعراء من أفرد لهذا الموضوع القصائد ، ومنهم من جعله في ثنايا قصيدة التنديد برافضي السلام ،كما اختلفت القصائد كما وكيفا بين الشعراء استجابة للمثير ورؤاهم الخاصة.

من قصيدة للشاعر "عامر بحيري" عنوانها" صانع السلام " نقف على قوله مادحا السادات :([٢٩])

يا صانع السلم لا تحفل بمعترض	واكتب بنفسك آي المجد والغلب
واذهب إلى آخر الدنيا مبادرة	كالشمس تكشف عنا ظلمة الحجب
قف بالكنيست وادفع عن قضيتها	وقل لبيجين أوديان وانتدب
من منطق القوة الأعلى تخاطبهم	يا فاتح القدس والدنيا على أهب
صليت في المسجد الأقصى فكنت به	أمنا وكنت له حرزا من اللهب
محمد ليلة الإسراء قام به	وقمت فيه ضحى الأضحى فلم تغب

بداية نشير إلى أن عنوان القصيدة يرمز إلى أن السادات لم يكن مجرد قائد اتخذ قرار السلم وعهد به إلى الغير لينفذه، إنما هو صانع القرار ومنفذه، وقد عمد الشاعر إلى التدليل على هذه الخصوصية من خلال الأفعال (لا تحفل ـ اكتب ـ اذهب ـ قف ـ ادفع ـ قل ـ انتدب صليت ـ كنت) فأنت ترى أن فاعل هذه الأفعال هو المخاطب القائد، وكأنه وحده هو الذي تتأتى منه كل الأفعال ، وفي ذلك ما فيه من بيان لتفرد هذا القائد وقدرته على اتخاذ القرار ، ولعل هذا التفرد قد جعل السادات مصدر أمن وأمان للمسجد الأقصى لما صلى فيه وحال دون اعتداءات اليهود الغاصبين ،كما أن الربط في البيت الأخير بين إسراء النبي ﷺ وصلاة السادات في المسجد الأقصى يدل على عظمة فعل السادات ، وكأنه قد أتى أمرا خارقا مخالفا لطبيعة أمثاله من البشر ،ثم يمضي الشاعر في القصيدة إلى أن يقول:

يامجد مصر ويا عنوان نهضتها	منذ الشباب ولم تفرغ من الطلب
أزمعت وعدا أكيدا قد برزت به	منذ بت في الصدر من أبطالها النجب

لئن تكن زرت إسرائيل مبتدئا ... فالدهر في دهشة من قوة العصب
وإن تكن جئت كابن العاص عسكرهم ... تمشي له وهو في خوف وفي رهب
وإن تكن قد أحلت السلم معركة ... أقوى من الحرب في حقن الدم السرب
وقد رأوك بعين الدهر تخطبهم ... قولا صريحا وخطوا جد مقترب
كأنما الطير قد باتت محومة ... على الرءوس وساد الصمت في أدب
فقد أضفت إلى التاريخ ملحمة ... غراء ما وردت من قبل في كتب

من الملاحظ أن الشاعر في تلك الأبيات معنيٌ بالإشادة بصفات القائد النفسية، واتزانه العصبي هذا الاتزان الذي جعله يمضي بخطى ثابتة، بل إنه جعل الدهر في دهشة ، وملأ قلوب عسكر اليهود خوفا ورهبة على الرغم من وجوده في معسكرهم ، ولما خطب فيهم داعيا للسلام أصابهم بالوجوم، وقذف في قلوبهم الرعب لجرأته وشجاعته ، وما تركهم إلا وكأن على رءوسهم الطير ، من عجيب ما رأوا وما سمعوا . إنها ملحمة ليس لها في التاريخ مثيل.

لقد استطاع الشاعر من خلال دقته التصويرية أن ينفذ إلى مراده ، وأن يسبغ على السادات من صفات القيادة الحكيمة ما جعل الدهر تصيبه الدهشة من هذا القائد الذي يمشي واثق الخطى، ويقف ثابت الجنان، ويتحدث فصيح اللسان، ولعل ذلك من أعظم ما يمدح به القائد في مثل تلك المواقف،كذلك جسد التصوير مكانة السادات في نفوس زعماء إسرائيل ، فقد تركهم وقد أصابهم الذهول، وتغشتهم الحيرة وانتابهم الصمت (كأنما الطير قد باتت محومة على الرءوس) وما ذاك إلا إعجابا بهذا القائد الذي ملك عليهم نفوسهم وأسكت ألسنتهم.

إن تأييد خطوات السادات وتوجهاته نحو السلام كان نقطة التقاء الشعراء في قصيدة المدح، كما التقوا ـ أيضا ـ في الإشادة بالتكوين النفسي والسلوكي لهذا القائد فهالهم منه ثقته غير المتناهية في نفسه، وأعجبتهم قدرته على الحجاج والمطالبة بالحق ، وبهرتهم شجاعته ، وقد كان مشهد زيارته لإسرائيل ، وإلقاء خطابه في الكنيست خير دليل على تجسيد تلك المعاني، حتى ما كادت تخلو قصيدة مدح من الإشارة إلى هذا الموقف.

من قصيدة مطولة للشاعر "سعد درويش" عنوانها :"السادات وجدان مصر" نقف معه على هذه اللوحة الفنية التي تجسد شجاعة القائد ،وتكشف عن بطولته المتفردة،وقد توقفت القلوب ،وشخصت الأبصار ترنو إليه يجلجل في جنبات الكنيست ،يقول (٣٠):

بطل السلام رنت إليك معابد ... ورعت خطاك كنائس ومساجد
صلى لأجلك عالم متحضر ... وهفا إليك أقارب وأباعد
الكل يمسك قلبه من لهفة ... والله فوقك حافظ ومساعد
لم تأتهم سرا ولكن جهرة ... هل أنت إلا وجه ربك قاصد

إن المتأمل فيما أسبغه الشاعر على ممدوحه من صفات يدرك عنايته في إكساب صفة الشرعية الدينية ،والنفحات الإيمانية رحلة السادات ، ودعوته للسلام ، وقد ظهر ذلك حين جعل أهل الديانات المختلفة يرنون إلى القائد ويباركون خطواته ، وقد عبر عنهم بما يرمز به إليهم من خلال:المعابد، والكنائس ، والمساجد، كما نرى في صلاة العالم المتحضر من أجل السلام بعدا آخر يشي بأولئك الرافضين للسلام ،كما تقف عناية الله مع القائد ملهمة له وحافظة إياه ، وكيف لا وهو الذي لا يقصد من رحلته سوى وجه ربه ؟!

ثم يمضي الشاعر في تصوير إعجابه بهذا القائد الذي أبهر العالم بمفاجأته في الحرب والسلم ، ويرى أن زيارة السادات لإسرائيل قد غزت قلوبهم، وحطمت كبرياءهم ، فما كان منهم إلا أن نثروا فوق هامته الورود ، وتوافدوا إليه توافد الحجيج ، وفي ذلك ما فيه من إقرار بعظمته ، وإجلال لفعله ، لقد كانت أفعال السادات كلها لله ، وبالله ، ومن ثم يستمد من الله قوته، وهدايته ،ولعل تضرعه في المسجد الأقصى قد جعله يجلجل بصوته في الكنيست مطالبا بالحق ، لا يخشى لومة لائم.

فاجأتهم كالمهد فيك بزورة ... فإذا جدار الشك واه مائد
في عقر دارهم وغزوت قلوبهم ... فدنا إليك النافر المتباعد
نثروا الورود تقربا وتحببا ... وإلى رحابك كالحجيج توافدوا
في المسجد الأقصى ترتل داعيا ... لله يمنحك الهدى ويساعد
وعلى منصتهم تجلجل صادعا ... بالحق تنذر تارة وتناشد

لقد انعكس إعجاب الشاعر بممدوحه على معجمه اللغوي الذي أثرى اللوحة بإيحاءاته ودلالاته، ولنتأمل دقته في اختيار الأفعال: (رنت إليك ـ رعت خطاك ـ صلى لأجلك ـ

هنا إليك ـ فاجأتهم ـ غزوت قلوبهم ـ نثروا الورود ـ وفدوا إلى رحابك ـ هرعت إليك ثواكل) لاشك أنها أفعال تدل على عظمة المخاطب ،سواء أكان هو فاعلها أم كان غيره.

ويصل الشاعر إلى ختام قصيدته وقد تملكه الإعجاب، و سيطرت عليه مشاعر الزهو والفخر بهذا القائد الفرد وقد عاد إلى أرض الوطن ، فراح يهتف :

يـا أنـورا مـلأ القلـوب بنـوره	يهنـيـك مجـد عبقـريّ خالـد
ولقـد رأيتـك والعيـون شـواخص	ترنـو لوجهـك والقلـوب حواشـد
من حول ركبك أنفس ومشاعر	يقتادهـا بطـل السـلام العائـد
لـولا المهابـة أحـدقت بـك أذرع	مـشـتاقة وتلقفـتـك سواعـد
الـشعب يعـرف أن قلبـك قلبـه	ويقـرّ مـا تقـضـي بـه وتعاهـد
سـر في طريقـك أنـت أنـت القائـد	وتقـدم التاريـخ أنـت الرائـد
فلـديك في عنـق الزمـان مآثـر	ولـديّ في عنـق البيـان قـصائـد

الأبيات تصور فرحة الشعب بعودة قائده ، وقد نفذ الشاعر من خلالها إلى المديح عامدا إلى مختلف ألوان البديع والبيان وسيلة لتجسيد ما يعتريه من مشاعر، فعن طريق الجناس يقرر أن "أنور" قد ملأ القلوب بـ "نوره" والمجانسة بين الاسم "أنور" والمصدر "نور" فيها ما فيها من كشف للحقائق، ودرء للشبهات ، شأن النور الذي يبدد دياجير الظلام ، ويهتك أستار الكذب، وما تلك الحقيقة سوى دعوته للسلام وقد امتلأت بها القلوب يقينا لا يقبل الشك (يا أنورا ملأ القلوب بنوره) وعن طريق الكناية يجسد فرحة المصريين وقد عاد إليهم القائد من رحلته إلى إسرائيل ، وقد جعل شخوص عيونهم تعبيرا عن فرط إعجابهم به حتى أنهم لا يكادون يرفعون أبصارهم عنه ، ولا تكاد عيونهم تطرف، ويتخذ الشاعر من المجاز المرسل ما يبرهن به على حب الشعب وتأييده ، والتفافه حول قائده ، فهامي القلوب قد احتشدت في خفة وسرعة يزحم بعضها بعضا تبارك للقائد عودته ، وتعلن تأييدها لموقفه (العيون شواخص ـ القلوب حواشد) وما زال الشاعر يعزف على أوتار الإشادة بالقائد فإذا بالأنفس،والمشاعر تتجمع وتتكاتف لتصنع سياجا من الحراس حول ركب القائد،ولولا المهابة التي وهبها الله القائد لتدفقت تلك الجموع ولأطافت به أذرعتها، وتلقفته سواعدها (أحدقت بك أذرع وتلقفتك سواعد)

لاشك أن ذلك كله دليل الحب، ورمز التأييد الذي أقر به الشعب لما عاهد عليه القائد وقضى به، ومن ثم لا يملك الشاعر إلا أن يدعو القائد إلى مواصلة المسيرة ، ولعل التأكيد في قوله : (أنت أنت القائد) يوحي بتفرده، وأنه لا غيره القائد الحق، وكيف لا يكون كذلك وهو من دان له الدهر بالمآثر ،كما دان له الشاعر بالقصائد.

فلديك في عنق الزمان مآثر ولدي في عنق البيان قصائد

وللشاعر محمد الهادي " قصيدة عنوانها "كفاحهم بلسانهم" نذد فيها برافضي السلام، ثم عرج نحو الإشادة بالقائد، وقد كانت الرحلة إلى إسرائيل، وإلقاء الخطاب في الكنيست مثيرا ألهب عاطفة الشاعر ، ونال من إعجابه ما جعله يصف الرحلة بأنها ملأت قلوب العالمين سرورا ، وأدخلت الحبور على المسجد الأقصى ، وألهبت حناجر المصلين تكبيرا وتعظيما لهذا القائد يقول:[٣]

ماذا جرى في رحلة جبارة ملأت صدور العالمين سرورا
هيا سلوا الدنيا سلوا زعماءها هيا اسمعوا الإعجاب والتقديرا
وانظر لشعب النيل في استقباله في الضمر لم نر للقاء نظيرا
وانظر لإسرائيل كيف تقابلت معه .. وكيف تأثرت تأثيرا
والشعب كل الشعب أقبل دامعا والمشهد الجبار كان مثيرا
مجروا البيوت وفي ذهول أقبلوا وكأنهم موتى هجرن قبورا
والفارس العملاق يبدو بينهم أملا كبيرا للسلام مشيرا
قد أنصتوا في دارهم لزئيره أسدا يزود عن السلام هصورا
كالشمس كانت بينهم كلماته وعن العروبة عبرت تعبيرا
....
يا صانع التاريخ في خطواته طوبى لخطوك للسلام مصيرا
خضت المعارك قادرا ومظفرا وتخوض معركة السلام قديرا
فلئن عبرت الهول في ساح الوغى فلقد صنعت إلى السلام عبورا

الشاعر في الأبيات السابقة يمدح في القائد شجاعته في السفر إلى إسرائيل، تلك الشجاعة التي نالت إعجاب العالم ، وأشاعت في الصدور السرور(ملأت صدور العالمين سرورا) ويتخذ الشاعر من هذا الإعجاب وسيلة لتقريع الرافضين ، وقد لجأ إلى أسلوب الأمر بما يفيده من طلب حصول الفعل من المخاطب ليثبت بنفسه حقيقة المأمور به، ولنتأمل قوله:

(سلوا الدنيا ـ سلوا زعماءها ـ اسمعوا الإعجاب ـ انظر لإسرائيل ـ انظر لشعب النيل) إنها أفعال تجسد الشواهد المادية على إعجاب العالم بقرار السلام ،مما استوجب الإشادة وتعظيم القائد.

كذلك تطالعنا في اللوحة وفود الشعب وقد خرجت تستقبل القائد ،وأرى أن الشاعر لم يكن موفقا في رسم عناصر هذه اللوحة ،ولنتأمل كيف تراءت له تلك الوفود من خلال قوله:

والشعب كل الشعب أقبل دامعا ... والمشهد الجبار كان مثيرا

هجروا البيوت وفي ذهول أقبلوا ... وكأنهم موتى هجرن قبورا

لقد ركز الشاعر في البيتين السابقين على تحديد ملامح وهيئة الشعب ساعة أن استقبل قائده المظفر العائد من إسرائيل ، فجعله يقبل دامعا ، ويقف في ذهول ، ويتحرك وكأنه ميت قد خرج لتوه من القبر، و هذه الهيئة وتلك الصفات أراها تبعد بنا كثيرا عن الجو النفسي الصادرة عنه القصيدة ، وخاصة أن الشاعر قد أشار في مطلع القصيدة إلى أثر الرحلة فجعلها قد " ملأت صدور العالمين سرورا" فلم الدموع بعد ذلك ؟ ثم إن التعبير بالذهول لا يدل على الإعجاب، فمن المقرر أن الذهول يكون عن خوف وفزع يشغلك فتنسى ، ومنه قوله تعالى في وصف أثر هول يوم القيامة : {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ . الآية ٢الحج} وإضافة إلى هذا الملحظ المعنوي ، أرى الشاعر أيضا قد جانبه الصواب في قوله: (وكأنهم موتى هجرن قبورا) حيث أعاد ضمير التأنيث في "هجرن" على المذكر "كأنهم" كما أن الصورة توحي بعكس مراد الشاعر ، إضافة إلى فقدان الجامع بين هيئة المستقبلين ومشاعرهم وقد احتشدوا في تزاحم وحركة لا تنقطع، وبين هيئة الموتى وقد خرجوا من قبورهم متلفعين بأكفانهم .

وللشاعر وقفة أخرى تظهر في لوحته ، تمثل السادات وقد وقف يلقي خطابه التاريخي في الكنيست، وهنا يلجأ إلى التصوير ليهب ممدوحه من الشجاعة ما يتناسب والموقف فيشبهه بالأسد وقد زأر بأعلى صوته صادعا بالحق دون خوف أو التواء، ثم يشبه كلماته التي ألقاها بالشمس ظهورا ووضوحا وتجلية للحقائق ، وهذا من أجل ما يوصف به ممدوح في مثل هذا المقام:

قد أنصتوا في دارهم لزئيره ... أسدا يزود عن السلام هصورا

كالشمس كانت بينهم كلماته ... وعن العروبة عبرت تعبيرا

ويأتي ختام القصيدة أنشودة تحمل عذب الكلمات ، ورائق الصفات ، وأجل ما يمتدح به قائد، فالسادات القائد هو ذلكم الصانع للتاريخ بخطواته، وقراراته، المظفر في الحرب والسلم، ولعل قوله

فلئن عبرت الهول في ساح الوغى فلقد صنعت إلى السلام عبورا

يدل على أن السلام ما كان له أن يكون لولا هذا الصانع الخبير الذي مرسنه أهوال الحروب، وأعدته ساحات الوغى بطلا فريدا في الحرب والسلم.

لعل من اللافت في قصيدة المديح أن موضوعاته ،ومعانيه لا تكاد تختلف كثيرا بين الشعراء، فقد التقوا حول شجاعة القائد التي نالت إعجاب العالم، كما أثارهم مشهد الزيارة وإلقاء الخطاب ثم العودة إلى الوطن ، ومن ثم راح كل شاعر يجسد من خلال هذه المواقف مشاعره، ويرسم إعجابه، سابغا على ممدوحه ما جاشت به عواطفه، وأقر به فكره من صفات

وقد وقف الشاعر محمد عبد الغني حسن * في مدحه القائد على تلك الموضوعات في قصيدته "بطل السلام" فجعل عناية الله تقف بجوار القائد في قراره ،لينطلق من هذا التأييد الإلهي إلى الإشادة بهذا البطل المتلفع بإزار البطولة في حربه وسلمه، المتفرد بالشجاعة بين نظرائه ، يقول :([٣٢])

الله جـــــارك في قـــــرارك والنـــصر يقطـــف مـــن ثـــمارك
بطـــل الســـلام أريتـــنا مـــا كـــان مـــن بطـــل لمـــعارك
ســـيان بأســـك في قتـــا لـــك واجـــتراؤك في حـــوارك
إن البطولـــة لم تفـــا رق لحظـــة مهـــوى إزارك
لقـــسمت مالـــك في الـــشجا عـــة مـــن شبيـــه أو مـــشارك

ثم يمضي الشاعر في مدحته متوقفا عند مشهد الزيارة، وهنا يمدح في السادات ثقته بنفسه، وتجرده المطلق من الخوف ، فما دخل السادات الكنيست إلا دخول الرجل داره وهو بهذا يرمز إلى مشاعر الأمن والأمان ، ويعلل الشاعر لهذه الثقة بأن السادات قد أحاطت به سلاسل من الأمن يتقدمها العدل، ويسبقها الحق، ويحيط بها المسجد الأقصى ، إضافة إلى هذا التأييد البشري من مختلف طوائف الشعب بمختلف دياناته :

لما دخلت على العـــدو ديـــاره كد خـــول دارك
والعدل بين يديك والـــحق المضيع في مســـارك

والمسجد الأقصى يحيـــ طك عن يمينك أو يسارك
والقدس ناظرة إليـــك على المشارف في انتظارك
والله ما خفنا عليـــك ولا شككنا في انتصارك
بالله كيف نخـــاف والقدس العتيقة في جـــوارك؟
ومواكب الأحرار من عيسى وأحمـــد في ذمـــارك

ولا ينسى الشاعر وهو في غمرة الإعجاب والإشادة أن يندد بالرافضين ، لينفذ من خلال تنديده إلى مديح القائد ، فهؤلاء ما رفضوا ،وما شتموا إلا لعجزهم أن يبلغوا مدارك ويلحقوا بمنزلتك ويدركوا خطواتك :

بـــالله لا تجـــزع لمـــن ... عجزوا ـ لعمرك ـ عن مدارك
لم يبلغـــوك فأغطشوا ... ظلماتهم بسـنا نهـــارك
مـــا أدركـــوك عـــلا ولا ... لحقـــوا بشئ من غبـــارك

ومن قصيدة للشاعر "خليل فواز" عنوانها: "قصيد الوفاء" رصد فيها الكثير من المواقف الخالدة للسادات حتى انتهى إلى السلام ،وفيها لا يتجاوز ما أشاد به غيره من الشعراء في هذا المجال ، وإن كان قد أبان عن أبرز ما نصت عليه المعاهدة، وكأنه يرد من خلال ذلك على الرافضين الذين يدعون أن السلام أضاع الحقوق ،وما عاد بالفائدة إلا على مصر وحدها ،يقول:(٣٣)

فـــاز الســـلام بكـــم أم فـــزت بالســـلم ... يـــا ظـــافرا في مجـــال الحـــرب والســـلم
جنحـــت للســـلم بعـــد النـــصر في شـــرف ... حاربت كالأسد واستبصرت كالسهم
بـــادرت تســـعى لحـــل شامـــل عـــدل ... وفي نطاقـــك سيـــف غير منثـــلم
خـــاطبتهم بـــصريـــح القـــول في مـــلأ ... من منطق العدل لا من موقف وخـــم
حكمـــت مـــن يـــسكنون الأرض فـــاقتنعوا ... ومن تأتـــى له البرهـــان يحتكم
ألم تطالـــب بحـــق اللاجئيـــن وأن ... تســـترجع الأرض أم طالبـــت بـــالقرم؟
أيـــوغر الحقـــد صـــدر المـــارقين إذا ... تحقـــق المطلـــب المنشود بالســـلم؟

إن إعجاب الشاعر بالقائد جعله في حيرة ، فهو لا يدري إن كان السادات قد فاز بالسلم ، أم أن السلم قد فاز بالسادات، وفي الحالتين إشارة إلى هذا التناغم بين الطرفين وحاجة كل منهما إلى الآخر،كما لا يفوت الشاعر إن ينبه إلى أن جنوح السادات للسلام لم يكن عن ضعف واستكانة، إنما هو سلام الأقوياء الشرفاء، ويلحظ من الأبيات

اعتمادها على الجانب التقريري ، فمدح القائد عند الشاعر قائم على إبراز أفعاله، والإبانة عن منجزاته وإبطال دعاوى الرافضين القائلين :إن السلام لم يحقق مطالب الأمة العربية ، ومن ثم لجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب التقريري لينفذ من خلاله إلى إثبات بطلان تلك الدعاوى والإشادة بالقائد .

وهكذا كان القائد عند معظم الشعراء رمزا للشجاعة، ومثالا للبطولة ،تؤيده عناية الله ، وتدعو له قلوب الشعوب ، كما كانت رحلته إلى الكنيست الإسرائيلي منهلا ثرا نهل منه الشعراء من المعاني الجليلة التي أسبغوها على قائدهم ، موائمين بين الممدوح وما يمدح به حتى إنهم استطاعوا من خلال ما قلدوه من حلل المديح تفنيد دعاوى الرافضين الزائفة من وجهة نظرهم ،ولما كادت المعاني تتشابه عند الشعراء، والموضوعات تتكرر أجد نفسي مكتفيا بما ذكرت من نماذج مشيرا إلى ما تركت ، لعل فائدة تكون فيه لمن أراد البحث والاطلاع.

٢ـ شـعراء الرفـض..

من المقرر أن اتفاقية السلام كانت حدثا مدويا تولدت عنه رؤى ومواقف حادة وعنيفة ومتضاربة، أوجدت جدلا بين مختلف طوائف الشعب المصري والعربي، نتج عنه صدع في الصف وفرقة في الرأي ، وانقسام بين مؤيد للسلام، ورافض له، وقد كشفت الصفحات السابقة عن موقف المؤيدين وحججهم من خلال أشعارهم ،ونستجلي في الصفحات التالية موقف الرافضين من خلال أشعارهم ـ أيضا ـ

وفي البداية أشير إلى أن معظم رافضي السلام مع إسرائيل ينتمون إلى الطبقة المثقفة ، أو ما يمكن أن نسميهم بطبقة المعارضين، أو المتمردين، هؤلاء كانت لهم من الحجج ما يشفع لرفضهم، ومن البراهين ما يؤيد دعواهم ، وقد دارت موضوعات شعرهم حول التنديد بالسلام لا من حيث أنهم عدائيون يفضلون الحرب ، أو يرفضون السلام في ذاته، إنما جاء رفضهم لإشكالية تتعلق بالمسالم الصهيوني الذي هو في نظرهم لا أمن له، ولا أمان، ولإشكالية أخرى تتعلق بقائد السلام الذي انفرد باتخاذ القرار، فضيع نشوة النصر ،وفرق شمل العرب، ولم يجن من السلام إلا الفتات. وباستقراء ما أمكن جمعه من شعر وجدت أن موضوعات الرفض تدور حول :

١ـ المعاهدة استسلام لا سلام :

لم يكن صوت الرافضين للسلام إلا صرخة مدوية في أرجاء مصر والوطن العربي ،يسوؤها أن يضيع ما تحقق من نصر ، وتحذر في الوقت نفسه من البطش الصهيوني الذي مازال يرهب العرب بعدته وعتاده، واستقوائه بالولايات المتحدة الأمريكية، والغرب الأوروبي، ثم كيف السلام ومازالت الأراضي العربية تئن من وطأة الاحتلال ؟ إنه سلام فرضته القوة، إنه استسلام لا سلام، هكذا يرى الرافضون السلام .

من قصيدة للشاعر عبد العليم عيسى[٣٤] تجسد ذلك الموقف نقف عند قوله :( )

قالوا: السلام، فقلنا: إنه أمل ... في ظله تجمل الدنيا وترتحب

لكن هذا السلام الهش ليس به ... إلا الضياع وإلا الضيم والوصب

كيف السلام وإسرائيل يرهبنا ... سلاحها النووي الفاتك اللجب

كيف السلام وإسرائيل غايتها ... أن يصبح الكل من أسلابها سلب

لا سلم والقدس والجولان ما برحا ... يدميهما الجرح يغلي فيهما اللهب

لا سلم والشعب لم يسمع لكلمته ... فكل حكامه عن رأيه رغبوا

لا سلم والشعب لم ترقأ مدامعه ... على الضحايا ولم يسكن به الغضب

ما زال في قلبه جرح يصيح به ... لا لا تسالم فهم غدر وهم كذب

إن المتأمل في مطلع القصيدة يجد الشاعر وقد أدار حوارا بين المؤيدين للسلام والرافضين له نلحظه في قوله :((قالوا السلام...فقلنا إنه أمل) ولعل قوله: (قلنا إنه أمل) تأكيد على أنه محب للسلام متشوف إلى تحقيقه، حتى صار أملا يطمح إليه، أما الرفض فيجيء لأسباب، وعلل،وهنا يختفي الصوت الآخر ويعلو صوت الشاعر الرافض للسلام ليبرر رفضه، وقد كان أسلوب الاستفهام الإنكاري وسيلة من وسائل التبرير وإقناع المخاطب، إذ كيف السلام مع إسرائيل التي ترهبنا بسلاحها النووي؟ وكيف السلام معها ومازالت غايتها بسط يدها على الأرض من المحيط إلى الخليج ؟ كما يأتي أسلوب النفي وسيلة أخرى تكشف عن أسرار رفض السلام، فلا سلام والقدس والجولان تدميهما الجروح، ولا سلام والشعب لم يسمع لصوته، ولا سلام ومازالت العيون لم تكفكف دموعها على ضحاياها، وشهدائها، ولا سلام وما زالت قلوب الشعب تهتف لا تسالم، هكذا

نظر الشاعر "عبد العليم عيسى" للسلام مع إسرائيل ، وأوجد من مبررات رفضه ما جعلت السلام ذلا واستسلاما، لا عزة وسلاما.

أما الشاعر "أمل دنقل" فهو صاحب أشهر قصيدة في رفض السلام، وقد نشرها في نوفمبر ١٩٧٦م بعنوان "مقتل كليب" الوصايا العشر" والمشهورة بـ "لا تصالح" وتاريخ نشر القصيدة يدل على أنها قيلت قبل توقيع المعاهدة، والقصيدة نسق فني رائع ، تحمل في ثناياها وصية عاشق للوطن حريص على سلامته وسلامة أبنائه ،تباين خطابه،وتعددت حججه، ،وفي سبيل إقناع مخاطبه بما يريد يذكر من مبررات الرفض مالا يرفضه عاقل .

وقد صاغ الشاعر قصيدته على لسان "كليب" قبل موته، يخاطب أخاه المهلهل "الزير سالم" يحذره من الصلح مع من قتله،ويوصيه بالثأر ،وأن يقاتل بكل قوة،وأن لا يستجيب لنداء الصلح مهما تعالت الصيحات،وفي هذا التوظيف التراثي إشارة إلى الضياع والتفريط في الحقوق، ذلك أن مقتل كليب سيد قومه، ورمز المروءة، لا يعدله إلا الثأر،ولا يشفي صدور قومه إلا القتل، أما الصلح فتفريط، وإهانة لذلك الملك، وإذا كان هذا عرفا جاهليا إلا أنه يمثل تمسك العربي بحقه وعدم تفريطه ولو كان المعادل يفوق الضحية ،وهذا الأمر معادل لحال السادات مع إسرائيل التي لا ينبغي الصلح ولا السلام معها . يقول "أمل دنقل" في مطلع وصيته الأولى:( )[٣٥]

لا تصالح

ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما

هل ترى !

من اللافت أن الشاعر قد بدأ قصيدته ببيان موقفه الرافض للسلام من خلال قوله: "لا تصالح" تلك الجملة التي تكررت عشرين مرة في القصيدة لتدل على يقين الشاعر ،وإصراره على رفض الصلح مع إسرائيل، وقد استطاع الشاعر من خلال قدراته الفنية أن يوظف تلك الجملة بكل مايو حي به أسلوب النهي ،فمرة يأتي النهي على سبيل الحقيقة ،وأخرى يخرج إلى معان أخر تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال،ومن اللافت أيضا أن الشاعر ما أقام حكما إلا وأقام عليه الحجة والدليل، فللرفض مبررات وعلل ، ففي

الوصية السابقة يرفض الشاعر حجج من يدعي أن السلام سيعود على الوطن بالخير والرخاء (لا تصالح ولو منحوك الذهب) أما علة الرفض فيعبر عنها بهذا التساؤل

أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى ؟

لا شك أن الإجابة :لا، فالجواهر مهما عظمت قيمتها لا يمكن أن تحل محل العين ،وفي افتقاد العين عمى عن كل مايدور، ومن ثم يكون التخبط، والسقوط، والجواهر لا تعطينا الرؤية ولا تكشف لنا عما حولنا، وهذا شأن السلام مع إسرائيل يجعلنا كالعميان يهيمون على وجوههم وقد ضلوا الطريق فاحتاجوا إلى من يقودهم بعد أن فرطوا في عيونهم، فهل نبيع عيوننا ؟

وفي سبيل التأكيد على علة الرفض يذكر الشاعر ألوانا من الأشياء التي تثير في النفس دوافع الرفض ،فعلى لسان كليب الرافض للصلح يقول الشاعر:

هل يصير دمي ـ بين عينيك ـ ماء ؟
أتنسى ردائي الملطخ بالدماء ؟
تلبس فوق دمائي ثيابا مطرزة بالقصب

إن تساؤل كليب ما هو إلا استنكار للصلح، واستثارة للمشاعر الإنسانية بما يفعله العدو، وقد أحسن الشاعر حين جعل لوحته السابقة تقطر دما من كل ناحية، لعل ذلك يكون دافعا للرفض كما أنه وظف الاستفهام توظيفا إنسانيا يجعل المخاطب يقول:لا أفعل ،لا أفعل ،لا أنسى، لا أنسى فمن ذا الذي يساوى دم أخيه بالماء ؟ ومن ذا الذي ينسى أخاه وقد تسربل في دمه ظلما وعدوانا، فلا يثأر له ؟ ومن ذا الذي يبيع كل ذلك ليهنأ بطيب عيش ، وحسن ملبس؟

إن كل مبررات السلام التي ساقها المؤيدون هي في نظر دنقل لا يمكن أن تكون، بل إنها وإن كانت فلا فائدة ترتجى من ورائها ، إذ كيف بسلام لا يقوم على تحقيق العدل ولا يعيد الحقوق لأصحابها؟! وكيف بسلام بين طرفين غير متساويين؟! يقول:

لا تصالح على الدم حتى بدم
لا تصالح ولو قيل رأس برأس
أكل الرءوس سواء

أقلب الغريب كقلب أخيك

أعيناه عينا أخيك

وهل تتساوى يد سيفها كان لك

بيد سيفها أشكلك ؟

إن كثرة الاستفهام في القصيدة تعكس ضجر كليب من أخيه ، ورفضه الشديد للصلح، كما إنه يمثل استنكارا وتوبيخا للمخاطب الذي يجهل الحقيقة ، ومن ثم يتجاوز هذا التوبيخ إلى تفنيد حيل وخداع وإغراءات العدو ، وينصح أخاه بأن لا يخدع بالوعود، أو يغر بمعسول الكلام .

سيقولون :

جئناك كي تحقن الدم

جئناك..كن ـ يا أمير ـ الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم

ثم يرشده إلى الرفض والرد عليهم بما يبطل حججهم :

قل لهم :إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك

واغرس السيف في جبهة الصحراء

إلى أن يجيب العدم

إن "كليبا" يرى ما لا يراه أخوه ، إنه الأكثر فهما، والأقدر على فهم طبيعة عدوه الذي لا يجدي معه صلح، أو ينفع سلام ، ومن ثم كان الأمر (اغرس السيف في جبهة الصحراء ..إلى أن يجيب العدم) إذ لا سبيل سوى القتال ، ولا بديل غير الثأر إلى أن يجيب العدم، وأنى للعدم أن يجيب؟!

على مثل هذه الشاكلة صاغ الشاعر قصيدته بانيا إياها على الرفض ، مستعينا بالنهي والاستفهام وسيلة من وسائل النصح، والاستنكار ، والتوبيخ ، عارضا بعض الصور والمشاهد الأليمة التي تصور بشاعة العدو وغدره، مواجها في موضوعية، وشجاعة، وصدق، صاحب القرار، والمجتمع أنهم إن قبلوا الصلح فقد ضيعوا الأمة، وقضوا على مجدها، فكان التحذير والتوجيه إلى ما ينبغي أن يفعل، ومن ثم رأينا الشاعر وقد طال نفسه في عرض أفكاره ومعانيه، حتى يؤكدها ويرسخها في نفس المتلقي ، ولعل ذلك

قد جعله يبسط المعاني ويكررها بعبارات مختلفة ، ولا أدل على ذلك أن النصيحة الرابعة تكاد تكون مكررة في النصائح السابقة عليها وفيها يقول:

لا تصالح
ولو توجوك بتاج الإمارة
كيف تخطو على جثة ابن أبيك
وكيف تصير المليك...
على أوجه البهجة المستعارة .!
كيف تنظر في يد من صافحوك
فلا تبصر الدم في كل كف!
إن سهما أتاني من الخلف
سوف يجيئك من ألف خلف
فالدم الآن سار وساما وشارة
لا تصالح
ولو توجوك بتاج الإمارة

إن المعنى لا يكاد يختلف عما ساقه سابقا، حيث ينكر على أخيه أن يقبل الصلح ،بل إنه يستبعد أن يحدث منه مثل هذا أبدا، ومن ثم كان الاستفهام بكيف التي تفيد بيان الحال أما المبررات فلا تكاد تختلف أيضا ، ولعل مرد ذلك كله يعود إلى الإلحاح على فكرته القائمة على الرفض.

٢ـ السلام مع إسرائيل وهم لن يتحقق ،وعلاقة لن تكون .

من الأسباب التي ردّدها رافضو السلام أن السلام مع إسرائيل سيتيح لها التمكن والتجبر بعد عزل مصر عن القضية ـ في زعمهم ـ كما سيصيب الأمة العربية بالفرقة ويقضي على وحدتها المأمولة ، لأنه لن يتحقق ، فقد دأب العدو على خلف الوعد ونقض العهد، كما أن الشعب المصري لن يغفر لإسرائيل جرائمها ، ولن ينسى قتلاه وجرحاه وأسراه، فهذه الحواجز لن تتحطم أبدا، وإن زعم إقامة جسور علاقات طبيعية بين الشعبين وهم وخرافة ، وستبقى هذه المشاعر في النفوس ما بقيت إسرائيل على ظهر الأرض، وإن أعلنت القيادات السياسية خلاف ذلك ، ومن ثم راح كثير من الشعراء يعبرون عن هذه المعاني ، وتلك المبررات .

من قصيدة للشاعر فاروق جويدة - عنوانها : رسالة إلى شارون) والتي مطلعها:

ارحل عن القدس واترك ساحة الحرم هل يلتقي الطهر يا خنزير بالرمم

يشخص فيها الضعف الذي أصاب الأمة العربية ، ويرده في المقام الأول إلى السلام الذي شق صف الأمة ، وفتت جمعها ، ومزق غايتها ،وفيها يقول: ([٣٦])

منذ ابتلينا بداء السلم شردنا بين الجموع خراب الأرض والذمم
فالسلم بالعجز تابوت ومقبرة وثوب عار ودعوى كل منهزم
والسلم بالسيف أوطان محررة ونخوة في ضمير الشعب لم تنم
السلم أن يحرس الفرسان رايتهم وأن نصون الحمى بالسيف والقلم
السلم أن لا نرى طفلا يطارده سيف جبان وقناص بسيل دم
في كل شبر حزين يبكي من شوارعنا تبكي العيون دما من سكرة الألم

من المسلم به أن السلام ما حل بأرض إلا ونعم أهلها بالأمان، ورزقوا الحب والوئام وتبددت خلافاتهم، ونبذت فرقتهم ، وتوحدت كلمتهم، غير أن الشاعر فاروق جويدة يرى في السلام مع إسرائيل ما يخالف السنن الكونية ، فهو أشبه بالحرب التي تدمر ولا تبني تفرق ولا تجمع، إنه البلاء، والداء (منذ ابتلينا بداء السلم شردنا بين الجموع خراب الأرض والذمم) والشاعر بذلك يومئ إلى الخلاف العربي العربي الذي أعقب توقيع المعاهدة مع إسرائيل، وما تبعه من فرقة وخلاف في الرأي، وتبادل للاتهامات.

إن "جويدة" يرنو إلى سلام الأقوياء الشرفاء، لا العجزة الجبناء، ويهفو إلى سلام يحرر الأرض، ويوقظ الضمائر، ويحمي الأطفال، وكأنه برؤيته تلك يشير إلى سلبية السلام الموقع مع إسرائيل ، ذلك السلام الذي ألبس العرب عارا تجللهم ، وتركهم عجزى لا يقدرون على شيء، فهم كالأموات تمددوا في توابيتهم ، وناموا في مقابرهم .

ولعل موقف "جويدة" الرافض لهذا اللون من السلام جعله لا يجد غير الحرب بديلا لاسترداد الحقوق ، واسترجاع العزة والكرامة.

من قصيدة أخرى عنوانها: (إن هان الوطن يهون العمر) يخاطب "جويدة" أطفال الحجارة يحثهم على مواصلة كفاحهم ، والتصدي للعدو، وأن يحفروا لهم بحارا من الدماء

يغرقونهم فيها، وفي الوقت نفسه يدعوهم إلى عدم الخديعة بما يسمى السلام ، وهو إذ يدعوهم إلى رفض السلام يذكر لهم من مبررات الرفض ، يقول :([٣٧])

سيجيء إليك الدجالون
بأغنية عن فجر سلام
السلم بضاعة محتال
وبقايا عهد الأصنام
والسلم العاجز مقبرة
وسيوف ظلام
لا تأمن ذئبا يا ولدي
أن يحرس طفلا في الأرحام
لن يصبح وكر السفاحين
وإن شئنا..أبراج حمام
لن ينبت وطن يا ولدي
في صدر سجين
لن يرجع حق في أنفاس المغمورين
فلا تأمن
من شربوا دم المحرومين
من أكلوا لحم المسجونين
من باعوا يوما قرطبة
من متكوا عرض فلسطين
فاقطع أذناب الدجالين
واهدم أبراج السفاحين
لتعيد صلاح الدين إلى حطين..

إن دعاة السلام في نظر -جويدة- أو أولئك الذين قبلوا السلام مع إسرائيل ما هم إلا فئة من الدجالين ، الذين تمرسوا على طمس الحقائق، وإغواء الناس، وإغرائهم بما يزيفون من القول، ومن ثم يحذر هؤلاء الأطفال ألا يخدعوا بأقوالهم، ولو زينوا لهم السلام أغاني ومواويل، فما السلام الذي يروجون له إلا بضاعة فاسدة، يعرضها محتال ليوقع الناس فيها

وما السلام الذي يدعون إليه سوى سلام العجز والقهر، والعجز مقبرة وسيوف ظلام تنال منك دون أن تراها.

وما أروع تلك الصورة التي تجسد غدر العدو مهما تظاهر بالسلام ، وما أروعها حين تجسد العرب وقد قبلوا السلام بطفل في الأرحام يحرسه هذا الذئب ،فهل سيحميه ويحرسه؟! (لا تأمن ذئبا يا ولدي أن يحرس طفلا في الأرحام) وما زال الشاعر يسوق من الأدلة والبراهين ما يدلل بها على استحالة السلام مع إسرائيل التي شربت من دمائنا ،وأكلت لحومنا، وهتكت أعراضنا وكل ذلك يحول دون السلام ، ويجعلنا ـ دائما ـ في مواجهة لا تنتهي ،وقتال لا يهدأ ،وتلك أسمى مراتب العزة والكرامة ، فاقطع أذناب الدجالين، واهدم أبراج السفاحين ، ولا تكاد تختلف فلسفة الرفض عند الدكتور صابر عبد الدايم[٣٨] عن رؤيته جيدة فالسلام في نظر الدكتور صابر لم يأت بثماره، بل مزق الأمة ، وصنع المآسي، وخلق الصراعات التي نهشت في جسد الأمة نهش الذئاب الضارية، يقول: ([٣٩])

ويشير السلام لم يأت بالزيتون ... بل جاء بالغلاف المعصي
في يديه حقيبة نام فيها ... سر مأساتنا البعيد الخفي
دار في كل محفل ينثر الـ ... ـآراء ...مثل الممثل المسرحي
جاء في جولة وعاد لأخرى ... ثم ذابت وما قضى أي شئ
وكأن السلام..... ظل كلام ... يتحداه ضوء خطو عتي
باسمه صار موطني العرفي ... بئر الصراع المدمر الدموي
فإذا الويل فيه ينهش كالذئـ ... ـب الذي راح ينهش الآدمي

ومن قصيدة أخرى تجسد حسرة الشاعر ،وأسفه الشديد، واعتذاره للشهداء الذين ضحوا بأنفسهم فداء للوطن، نراه يعلنها مجلجلة : إننا قد ضيعنا بالسلام تاريخنا، ومحونا أمجادنا ،وكأننا دمى تتحرك دون إرادتها .يقول من قصيدته "الشهيد والسلام الذبيح" :([٤٠])

صعودا صعودا إلى سدرة المنتهى ... فإن السلام الذي يزعمون انتهى !
وصهيون يسرق تاريخنا ... ويقتل فينا روى عشتها
نهرول نعدو إلى غاصب ... يرانا دمى أدمنت صمتها
وتصهل خيل الجدود ضحى ... ولكنهم مزقوا صوتها
بمرج الزهور دماء العصور ... تفور وترشقهم مقتها

فلسطين قصة أمجادنا ... ولكنهم أعلنوا موتها
فياليت كانت ويا ليت كنا ... وهل تنفع الآن يا ليتها؟
دفنا توارى بغدنا جهرة ... وفي دمك الحر كفنتها

ولا يجد غسلا لذاك العار، واستعادة للعزة والكرامة في غير القتال والمواجهة :

· أخي جاوز الظالمون المدى · ... وإن السلام الذبيح انتهى !
فأطلق خيولك من أسرها ... وأنقذ مرابع شيدتها
· وجرد حسامك من غمده · ... لتحيي أرضا محوا سمتها
إليها · محمد · أسرى ومنها ... عروجا إلى سدرة المنتهى !
ويورك فيها وما حولها ... وسراقها شوهوا ذاتها
· وجاسوا خلال الديار بباس · ... وهم يعلنون لنا موتها
أنتركهم يغصبون السلام ... وأرضنا يعدون تابوتها ؟
فقم يا شهيد السلام وأسرج ... خيولا إلى القدس وجهتها
تغير صباحا وتعدو ضباحا ... وأنت إلى الفتح قد قدتها

أما الشاعر محمد علي عبد العال · فيذهب إلى أبعد من ذلك ،فالسلام مع إسرائيل عنده سراب ،ووهم خادع ، بل هو مخدر يذهب بالعقل وينسي الواقع ، كما يرى أن إسرائيل تريد لمصر وللعرب من هذا السلام إضعاف مقاومتهم ،والسكوت عن مطالبتهم بحقوقهم ،يقول: من قصيدة يفضل فيها الحرب على السلام ([٤١])

هذا السلام سراب وهم خادع
هو كالمخدر صاغه لكنم العدو
كي لا نقاوم شره بكفاحنا
وبعزمنا ولحقنا لا نصمد
يا لائمي في الحرب غرك قولهم
هم يضحكون على العقول فنددوا

وفي قصيدة أخرى يرى الشاعر محمد عبد العال· أن السلام مع إسرائيل لا يمكن أن يتحقق، فهم خصوم السلام ،وهم سفكة الدماء،وفي سبيل التدليل على ذلك يذكر بما جنته أيديهم من قتل ،وما اقترفته من إثم في شتى البقاع ،يقول : ([٤٢])

وقالوا : والسلام لهم خصيم ... فنحن حماة سلم العالمينا

إذا كنتم بحق أهل سلم ... أجيبوني جواب الصاد قينا
فمن سفك الدماء بنور سعيد ... ومن ذبح الألوف بأرض سينا
فيا للـه كم سفكوا دماء ... ويا لله كم ملأوا سجونا
فهيا يا عروبة طهروها ... وردوا للديار الناجمينا

وتلتقي رؤية الشيخ "يوسف القرضاوي" مع الشاعر "محمد عبد العال" في كون السلام سرابا لا طائل من ورائه، وقد جسد ذلك في قصيدته التي أسماها "سراب السلام" أو "سلام السراب" وفيها يقول:([٤٣])

سلام من بني صهيون ... عفوا يا بني جنسي
أيرجى السلم من ذئب ... أيرجى الدلا من تيس
فيا عجبا لمن يجري ... وراء سرابه النفسي
يظن له به ريا ... ويرجع فارغ الكأس
يفرط في دم الشهدا ... ء يا للعار والبؤس
يبيع الأرض والتاريـ ... ـخ بالأرخص من فلس
بحكم في حمى صهيو ... ن يا للثمن البخس!
فلا دولته قامت ... ولا أبقى على النفس
وضاع جهاد قرن كا ... مل دفنوه في الرمس
جهود كلها ذهبت "كأن لم تغن بالأمس"
فما معنى فلسطين ... بلا أقصى ولا قدس؟
فلسطين بلا قدس ... كجثمان بلا رأس

وإذا كان الشيخ القرضاوي يرفض السلام، فإنه لايرى في غير الجهاد بديلا خصوصا بعد أن تبين زيف السلام، وبعد فشل الاتفاقية في استرداد القدس، وأرض فلسطين من قصيدة له بلغت أكثر من سبعين بيتا جسدت تلك الفكرة يقول منها ([٤٤]):

يا أمتي وجب الكفاح ... فدعي التشدق والصياح
ودعي التقاعس ليس ين ... صر من تقاعس واستراح
ودعي الرياء فقد تكلـ ... ـمت المذابح والجراح
كذب الدعاة إلى السلا ... م فلا سلام ولا سماح
ما عاد يجدينا البكا ... ء على الطلول ولا النواح

لغـــة الكـــلام تعطـــلت ... إلا التكـــلـــم بالرمـــــاح
إنـــا نتـــوق لألـــســـن ... بكـــم علـــى أيـــد فصاح
يـــا قـــوم.. إن الأمـــر جـــد ... قـــد مـــضـــى زمـــن المـــزاح
ســـموا الحقـــائق باســـمـــها ... فالقـــوم أمرهمـــو صـــراح
ســـقط القنـــاع عـــن الوجـــو ... ه ، وفعلهـــم بالـــسر.. بـــاح

ونختم تلك الجولة مع الشاعر "عبد العليم عيسى" وقصيدته "نوارة" التي نظمها إعجابا وإشادة بتلك الفتاة التي وقفت في معرض القاهرة الصناعي في مظاهرة احتجاجية على مشاركة الكيان الصهيوني فيه فكان اعتقالها،وفيها يقرر :إن السلام مع إسرائيل فتت وحدة العرب ، وأفقر المصريين، وإن السلام صناعة الحكام ،لا إرادة الشعوب، وسوف يأتي اليوم الذي تتخلص فيه الشعوب من الصبر ،وتنجلي الغمة ،وساعتها سوف يشدو الجميع لحون السلام،يقول منها:([45])

صـــاحت بهـــم عـــودوا فإنـــا هنـــا ... نبغـــضـــكم بغـــض الـــصحيح الـــسقام
وبيـــنـــنـــا وبيـــنـــكـــم حاجـــز ... شيـــــده دم صـــبيب سجـــام
ولـــن تكونـــوا أبـــدا أخـــوة ... يربطـــنـــا بهـــم ربـــاط الونـــام
والـــشعب يـــدري أنكـــم عـــصبة ... مـــاكرة بعقـــــدها تـــستهـــام
وأنكـــم منـــذ اندســـتم مهـــنـــا ... في أرضـــنـــا غطـــى عليهـــا القتـــام
ومزقـــت وحدتنـــا وهـــي قـــد ... كانـــت لنـــا دافعـــة للأمـــام
وأصـــبح المـــصري بعـــد الغنـــى ... مستمـــسكا يرجـــو فتـــات اللئـــام
لا يخـــدعنكم أنـــه صابـــر ... فـــصبره المـــرنذيـــر الـــصدام
غـــدا يفـــض الـــشعب أغلالـــه ... وفي يديـــه يـــسترد الزمـــام
إن كانـــت الحكـــام دانـــت لكـــم ... وأســـلمت للأمـــر كان الخطـــام
فلـــن يـــدوموا إنهـــم هبـــوة ... ســـتنجلي وانفهـــا في الرغـــام
ويومهـــا تهـــزج أرواحـــنـــا ... ويومهـــا نـــشدو لحـــون الـــسلام

المبحث الثالث :

من عناصر التشكيل الفني

لعل من البداهة القول بصعوبة الوقوف على سمات فارقة، وخصائص فنية دقيقة تمثل رؤى متكاملة، وأحكاما عامة، ومواقف نقدية حول مجموعة من القصائد تعدد قائلوها، وتباينت مذاهبهم، واختلفت مشاربهم ،وطرائقهم.

لكن مما لا شك فيه أن خيطا رفيعا قد يربط بين هؤلاء جميعا إذا ما التقوا تحت مظلة تجربة شعورية واحدة، وأحداث نفسية متشابهة .

ومما لا شك فيه ـ أيضا ـ أن حدث معاهدة السلام قد ألقى بظلاله على جميع النفوس فأثار كوامنها، وهيج مشاعرها، كما انعكس على العقول فجعلها بين مويد، ورافض، وفي ضوء ذلك يمكن القول : إن وحدة التجربة، وغاية الهدف، قد شكلت بعض الملامح الفنية المشتركة لمجموعة من الشعراء وإن اختلفوا غاية، ومذهبا، وطريقة.

وعلى ذلك فلن أعرض من خلال الصفحات التالية لغير القواسم المشتركة من السمات الفنية ، أما التباين فسبيله معروف، وحكمه معلوم .وتتمثل هذه القواسم في :

١ـ التجربة الشعرية :

يتباين الشعر قوة وضعفا، صدقا وزيفا، قبولا ورفضا، بقدر معايشة الشعراء لتجاربهم وبقدر انعكاس الأحداث على مشاعرهم ، ودخائلهم النفسية، والفكرية، ومن ثم فلا شعر (ما لم تشتمل التجربة على حدث فكري نفسي ،يعني موقفا معينا للشاعر عاشه،أو عاش فيه من فاتحته إلى خاتمته لأول مرة،بحيث يبرزه عملا قائما بنفسه،عملا له كيان ،وله صفاته،وله وضوح التجارب الكبرى التي تمر بنا في حياتنا.)[٤٦]

ولا يخفى أن حرب أكتوبر بأحداثها، وتداعياتها حربا وسلاما ، قد كانت حدثا جليلا زلزل النفوس، وأدهش العقول ، وصنع المواقف ، حدثا عاش فيه الشعراء معايشة تامة ،فتشبع به وجدانهم ، وأثار عقولهم ، وأنتج أفكارهم.

ويمكن القول: إن تجارب شعر السلام ـ سواء عند المويدين له، أو الرافضين ـ تتسم بالقوة ـ في الغالب ـ لما كانت انعكاسا لحدث شغل العالم كله، ولما كانت تعبيرا عن قضية وطنية تتعلق بأمن ، وأمان ، وعزة، وكرامة مصر، والمصريين.

كما تكشف هذه التجارب عن عواطف صادقة ، وأحاسيس متقدة، فهي تعبير ذاتي يصور موقف الشاعر من الحدث، وإن تجاوز الشعراء الذاتية ليعبروا عن آفاق عامة سياسية، وقد كانت عاطفة الإشادة والإعجاب المحور الرئيس الذي دارت حوله معاني شعر الشعراء المؤيدين للسلام ، وقد انعكست هذه العاطفة على ألفاظهم،وأساليبهم، وصورهم وأخيلتهم.

أما الشعراء الرافضون للسلام فقد عبروا عن رفضهم من خلال عاطفة السخط والتنديد بقائد السلام ومؤيديه، وقد كانت عواطفهم جذوة لا تنطفئ في القصيدة كلها، تستشعر من خلالها رفضهم التام للسلام، ومرارة الخضوع، وذل الاستسلام، وهي في الوقت نفسه تعكس نفوسا أبية، يقودها الإصرار والتحدي ،ويدفعها الإباء والكبرياء إلى رفض السلام مع إسرائيل.

وعلى الرغم من هذا التباين بين عواطف الفئتين ، إلا أنهما استطاعا أن يثيرا المتلقي، وأن يصلا به إلى درجة عالية من الإقناع ، وما ذاك إلا دليل على إيمانهما الشديد، وصدقهما فيما يعبران عنه .

من منا يقرأ قول الشاعر "خليل فواز" يندد برافضي السلام ،ويذكر قبيح أفعالهم فلا يثار انفعاله ،ويشاركه فيما يذهب إليه ؟ حيث يقول : (٤٧)

لا ترفضوا نهجنا بل نحن نرفضكم ... ونرفض الزيف والتفريط في الذمم
تزايدون على من أرخصوا دمهم ... يأبى الغشيم سوى الإغراق في العتم
ورفضكم تقتلون الثائرين به ... فأبشروا بعذاب الله والنقم
سالت دماء الضحايا في مغنمكرهم ... غدرا وحامي حمى الأوطان في شبم
أما قتلت بتل الزعتر الثغر الـ ... ـذي تحامي له بالرفض فاحتشم
تدير ظهرك للأعداء محتميا ... بهم وتقذف صدر الطفل بالحمم
فما طعامك إلا لحم من قتلوا ... وما شرابك صرف بل مزيج دم
ألا تزال تلوك الخبز بالأدم ... فالثائرون بكم عاشوا على الرشم
علا صراخ اليتامى في مخيمهم ... يا ساكن القصر أدرك ساكن الخيم
ماذا انتظارك يا مستثمرا محنا ... عز الرجال أم الفرسان في وخم

ومن منا يقرأ قول الشاعر "عبد العليم عيسى" الرافض للسلام ،المندد بمؤيديه ،فلا يترك فيه إحساسا مفعما بالحسرة، وإصرارا على رفض السلام ؟: (٤٨)

كيف السلام وإسرائيل يرهبنا ... سلاحها النووي الفاتك اللجب
كيف السلام وإسرائيل غايتها ... أن يصبح الكل من أسلابها سلب
لا سلم والقدس والجولان ما برحا ... يدميهما الجرح يغلي فيهما اللهب
لا سلم والشعب لم يسمع لكلمته ... فكل حكامه عن رأيه رغبوا
لا سلم والشعب لم ترقأ مدامعه ... على الضحايا ولم يسكن به الغضب
ما زال في قلبه جرح ينصيح به ... لا لا تسالم فهم غدر وهم كذب

٢ـ وسائل التعبير:

من المقرر أن الألفاظ والأساليب هما وسيلة الشاعر في الكشف عن مكنون نفسه وخفايا فكره، وأنه بهما يستطيع نقل معاناته للآخرين ، ومن ثم وجب عليه أن يحسن اختيار ألفاظه، وأن يجيد توظيفها توظيفا يجسد تجربته، ذلك (أن لمفردات اللغة التي نصوغ منها منثوراتنا ،ومنظوماتنا صفات عجيبة،وميزات غريبة ، فلكل كلمة معنى،أو روح، ولكل كلمة رنة، ولكل كلمة صبغة أو لون، والمجيد من الكتاب، أو الشعراء من إذا شاء الإفصاح عن عاطفة، أو فكر جمع بين مفردات يتولد من ارتباط معانيها معنى جلي، ومن اندماج ألوانها صورة واضحة جميلة،ومن تآلف رناتها لحن رقيق شجي.) ( )[٤٩]

ولعل عناية النقاد في القديم والحديث بالألفاظ والأساليب باعتبارهما وسيلة التعبير الأولى في الشعر لا تخفى على دارس ، أو ناقد.

وباستقراء ما أمكن جمعه من شعر هو صدى للسلام يمكن القول :إنه اتسم بملامح فنية في تراكيبه وأبنيته ،تمثلت في:

١ـ شيوع أساليب الحجاج العقلي ،والاستدلال المنطقي.

أثارت اتفاقية السلام المجتمع المصري ،وخلفت ردود فعل متباينة، أعقبها اختلاف في الرأي، قسم المجتمع مابين مؤيد،ومعارض، وقد كان لكل فريق قراءته الخاصة للسلام،فإذا كان المؤيدون يرون في السلام إنجازا تاريخيا، واستجابة لدعوة الإسلام ،فإن الرافضين يرون أن الاتفاقية كانت في صالح إسرائيل ،ولم تعد على مصر والعالم العربي إلا بالذل،والعار ،والانكسار.وتبعا لتلك الرؤى اختلفت طرائق الخطاب، وتباينت أساليب التعبير، وأصبح كل فريق بحاجة إلى التدليل على صحة دعواه، وفساد رأي الآخرين ،ومن ثم لجأ كل واحد منهم إلى الحجاج العقلي والاستدلال المنطقي، وسوق الأدلة

والبراهين التي من شأنها إثارة المتلقي، من جهة،والتأكيد على صحة دعواه، ورفض دعوى الآخرين من جهة ثانية.لم يختلف في ممارسة هذا النسق الأسلوبي شعراء التأييد ،أو شعراء الرفض.

من قصيدة للشاعر خليل فواز تصور هذا الحجاج يقول فيها مخاطبا رافضي السلام (٥٠)

وكم هنالك في التاريخ من مثل ... وماك فعل صلاح الدين كالعلم
من ينكرون على ابن الثيل مذهبه ... هل يدمغون صلاح الدين بالجرم
أما لنا أسوة في المصطفى حسنت ... صان العهود وعهد الكفر لم يدم
وابن البتول دعا للسلم دعوته ... وقال طوبى لكم يا صانعي السلم
وفي وصايا لموسى الكل يعلمها ... لا تقتل الناس لا تكذب ولا تضم
وقد دعا الله إبراهيم مبتهلا ... بالناس تهوي لهم والخير والديم
فالأنبياء ورسل الله دعوتهم ... إلى السلام وحب الناس بعضهم
ومن تناول داعي السلم متهما ... يستغفر الله إن الرسل في عصم
أقال سبحانه للسلم إن جنحوا ... أم قال بل فارفضوا فاصغوا إلى الحكم

إن الأبيات ـ كما أوضحت الصفحات السابقة ـ تقوم على التأكيد على أن السلام هو أمر الله ،ودعوة الأنبياء، وصنيع القادة النبلاء ،ثم هي تعتمد في إقرار ذلك على القياس ،والاستدلال والبراهين ،والحجاج العقلي .

كذلك نجد هذا النسق الأسلوبي عند الشاعر محمد عبد العال الذي يرفض السلام، ويدلل على استحالة تحقيقه مع إسرائيل فيقول:

وقالوا : والسلام لهم خصيم ... فنحن حماة سلم العالمينا
إذا كنتم بحق أهل سلم ... أجيبوني جواب الصاد قينا
فمن سفك الدماء ببور سعيد ... ومن ذبح الألوف بأرض سينا
فيا لله كم سفكوا دماء ... ويا لله كم ملأوا سجونا

٢ـ اللجوء إلى أسلوب السخرية:

السخرية فن راق،ونمط أسلوبي متميز يلجأ إليها المبدعون حين تتأزم المواقف وتشتد المحن ،ومن ثم فهي تتطلب نمطا خاصا من الأدباء ممن لديهم القدرة على تجاوز الواقع

والتغلغل في أعماق النفس البشرية بهدف ردعها، وكشف عوارها ، وبيان فساد معتقدها في مواقف الأزمات ،وتلكم السخرية الحزينة .

والسخرية بغاياتها تعدّ أسلوبا نقديا ساميا إذ (تتعمد إيقاع الآخر في حرج مقصود لدفع حرج أكبر، وردّ خطر قائم،أو متوقع، مما يعتبر عملا إنسانيا شريفا وساميا.) (51)

وإذا كان ميدان السخرية الحزينة، والضاحكة المواقف المتأزمة، والخلافات الحادة؛ فإن صدى معاهدة السلام قد أوجد من تأزم المواقف ، وتباين الآراء ما يجعلها من أفسح الميادين التي أتاحت للشعراء اللجوء إلى هذا النمط الأسلوبي ،لاعتقاد مؤيدي السلام ورافضيه خطأ الآخر،فكان التهوين والازدراء، وكان التهكم والاستخفاف بالآراء والمواقف.

وثمة ملاحظة أنه على الرغم من حاجة كل فريق إلى أسلوب السخرية ،إلا أنها تكاد تختفي عند رافضي السلام ،بينما هي وسيلة تعبيرية رئيسة في شعر مؤيدي السلام ،حتى ما كادت تخلو قصيدة من صورة من صورها .

أما المحور الرئيس الذي دارت حوله موضوعات السخرية في شعر مؤيدي السلام فلا يكاد يتجاوز السخرية من قدرات رافضي السلام الداعين إلى الحرب،والتهكم من أقوالهم والاستخفاف بأفعالهم، نجد هذه الصورة في قول الشاعر خليل فواز (52)

يا داعيَ الرفض يا مستضعف الهمم	ألا تثوب لصوت العقل والحكم
تقول غيّا ولا تصغي إلى رشد	أتطلق الفم والآذان في صمم
حرب العناجر أم حرب الدماء ترى	فقد عهدناك تهوى الحرب بالكلم
يا من تخوض غمار الحرب في خطب	وتحرز النصر تلو النصر بالنغم
لا يحرز الناس نصرا بالصياح ولا	إن تتقن الشتم والتجريح تقتحم
ما عادت الحرب قمصا بالرماح وإن	عادت فرزت فرار الخائف الهدم

لقد رسم الشاعر للرافضين صورة ساخرة جرّدتهم من عقولهم وأنطقتهم الباطل،ثم عرض بهم في مفارقة ساخرة بين أقوالهم وأفعالهم، فهم يرفضون السلام ويدعون إلى الحرب، وهم في الوقت نفسه ضعيفو الهمة، خائرو العزيمة، يدقون طبول الحرب، ويشعلون فتيلها، ثم لا يخوضون غمارها إلا بالكلام والخطب، وتبلغ السخرية ذروتها حين يصحح الشاعر للرافضين حقيقة الحرب إذ يعتقد هؤلاء أن الحرب مازالت بالرماح التي يجيدون رميها،وفي ذلك دلالة على أنهم بمعزل عن العالم الذي يعيشون فيه ،ومن ثم كان وصفه لهم في البيت الأول (تقول غيا) لا يتجاوز الحقيقة.

ويرسم الشاعر "مأمون الشناوي" لوحة أخرى هي أشد إيلاما ،وأكثر تعريضا حيث يقول: (٥٣)

أمحارفي الرفض ليس الكفاح ... النباح وليس النضال السباب
فإن البطولة خوض الجحيم ... وذاك الحصون ونسف الصعاب
لكم عذركم فارفضوا وانبحوا ... فعندكم الرفض للرزق باب

إن معظم الصور الساخرة التي رسمها الشعراء لرافضي السلام تقوم على تصحيح معتقد باطل، أو تصويب رأي فاسد ،فالشاعر "خليل فواز" في الأبيات السابقة يصحح لهم اعتقادهم أن الرماح مازالت سلاح الحرب، وهنا يسخر "الشناوي" من هؤلاء الذين يظنون أن النباح سلاح الكفاح، وأن السباب عدة النضال، ولا شك أن هذا الاعتقاد لا يصدر إلا ممن فقد عقله ، أو ممن لا شأن له بالحروب، وأسلحتها، واستكمالا للصورة الساخرة يلتمس الشاعر العذر لهؤلاء الرافضين إذ أنهم يتخذون من رفضهم حرفة يتكسبون منها أرزاقهم ، وفي ذلك ما فيه من تهكم وازدراء،وسخرية واستخفاف.

أما الشاعر "عبد اللطيف واكد" فيجمع في سخريته من الرافضين بين الجد والهزل ، مستخدما في ذلك ما يعرف عند علماء البلاغة بـ "الذم بما يشبه المدح" نجد ذلك في قوله: (٥٤)

أقدم فخار النصر للمقدام ... لا تخش لومة رافضين لئام
فهم صناديد الحناجر وحدها ... أبطال تلفاز.. أسود كلام
أما المعارك حيث يشتد الوغى ... وتدور معركة الصدام الدامي
أما لقاءات الصناديد التي ... فيها الحياة تداس بالأقدام
فهو الحرام عليهم وتراهم ... بالشعر خير مسند أورام
قالوا: فلسطين السليبة أرضنا ... سنردها يوما من الأيام
بقصائد الشعراء تلقى مثلما ... تلقى السهام بساحة الإعدام

لقد أراد الشاعر أن يقدم للمجتمع صورة تجسد حقيقة الرافضين ، وتبين عن قدراتهم وتعرض لبطولاتهم ،حتى لا يخدع الناس فيهم،وفي سبيل ذلك يتجاوز الشاعر التعبير المباشر إلى هذا النسق الكاريكاتوري ،فبينما يأخذك الإعجاب بهؤلاء الصناديد الدهاة حماة المعسكر ،سرعان ما تتكشف لك الحقيقة فشجاعتهم لا تتجاوز حناجرهم ،فهم يقولون مالا يفعلون،كذلك هم (أبطال) يديرون المعارك ،ويخططون لها ،لكن

حيث يجلسون أمام كاميرات التلفاز، ثم هم (أسود) يغرك مظهرهم،ويثيرك وعيدهم ،غير أن تلك الشجاعة لا سبيل لها في غير كلامهم ،وما أروع تلك المعركة التي انطلقت في الساحات،وتغشت البيوت،وأثخنت العدو بسهامها وخناجرها، وأصمت قلبه بنارها،ودمارها،ما أروعها معركة لولا أنها كانت حرب كلام ، لاشك أنها السخرية والتهكم من أقوال وأفعال هؤلاء الرافضين.

وفي سخرية ،وتهكم يرسم الشاعر " كامل أمين" لوحة مضحكة ،وإن كانت أقسى على النفس من طعنات الرماح ،يقول فيها :([55])

شعارات هنا وهناك فوق الـــــ ـــ مـواخير الـتي اكتظت زحامـا
عناتـــرة الوغـــى شـعرا ونثـرا وأســرع مـــن أرانبهـــا انهزامـا
مـن الحانـات يقـتحم الفـــدائي فلسطين إلى القـدس اقتحامـا
ومـن وحـي المـواخير اسـتمد الـــ خرائـط ثم خطـط ثـم نامـا

حقا إن السخرية قادرة على صنع المواقف ،ورفض الواقع ،وتحييد المتلقي ،دون أن تصنع أي صدام ،أو مواجهة مع الخصوم، من منا يوافق رافضي السلام ،ويؤيد دعواهم على الحرب وما أعدوا لها سوى الشعارات ،والأشعار ،والخطب ؟! من منا يرضى أن تقوده مجموعة تخطط للحرب بين السكارى ،وفاقدي العقول ؟!إنها سخرية ما بعدها سخرية .

إن صور السخرية ـ كما أسلفت القول ـ تكاد تكون هي الصورة التعبيرية المثلى لدى مؤيدي السلام ،ومن ثم فإن النماذج لا تكاد تنتهي ،الأمر الذي يجعلني أكتفي بما عرضت.

٢ـ كثرة أساليب المقابلة:

تمثل المقابلة في شعر السلام موقف الشاعر الفكري،والنفسي ،ذلك أنها ترسم أبعاد تجربته باعتبارها الصدى النفسي لتلك التجربة ،وباعتبارها الكاشفة عن موقفه في ضوء عرض مواقف الآخرين،وعليه فقد تجاوزت المقابلة ـ فيما أمكن جمعه من شعر يصور موقف الشعراء من معاهدة السلام ـ حد الزينة اللفظية،والوظيفة البديعية ،في كونها محسنا لفظيا،أو معنويا يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره ، والتأثير في نفوس الآخرين،وصارت لبنة رئيسة من عناصر تشكيل النص الشعري،بل هي ـ في الغالب ـ الوعاء الذي تتقاطر منه شتى عناصر التجربة .

وشيوع المقابلة في شعر السلام أمر فرضه الموضوع،ذلك أن معظم هذا الشعر يمثل حلقة الخلاف بين مؤيدي السلام ورافضيه، مما يقتضي حاجة كل فريق منهما إلى تبرير موقفه،وذكر حججه وأدلته ، وإبطال رأي الآخر،ولا شك أن المقابلة بما لها من قدرة على الجمع بين المعاني المتناقضة قادرة على القيام بتلك الغاية ،ثم هي في النهاية لها القدرة أيضا على التأثير في المتلقي ،وتغيير المواقف .وتلك غاية الشعراء من اللجوء إليها.

ولعل الشاعر خليل فواز من أكثر الشعراء لجوءً إلى المقابلة ولنتأمل قوله :(٥٦)

أيها المترفون إنا اتخذنا	موقف الحق واتخذتم معابا
نحن خضنا الحروب جيلا فجيلا	واجتنبتم خوض الحروب اجتنابا
وربطنا مصيرنا بالقضايا	وانتسبتم إلى القضايا انتسابا
هل بذلتم دماءكم كدمانا	بل صنعتم من الدماء شرابا
هل أحلتم عمارکم لطلول	بل بنيتم على الطلول قبابا
كم شربنا من الشراب كريها	وشربتم رحيق شهد مذابا
كم لبسنا من الثياب فؤادى	وأخذتم تبدلون الثيابا
وسكبنا من الدموع سخيا	وسكبتم عليكم الأنخابا
وعددنا على السنين قبورا	وعددتم رصيدكم والحسابا
أنذوق الطعام مرا وأنتم	تتهمون الطعام لذا وطابا
أنخوض الحروب دهرا وأنتم	تشترون الحسان بيضا عذابا

سبق القول إن الشاعر في الأبيات السابقة قد لجأ إلى أسلوب التقابل بين المعاني، فأشعل لغة النص ، وأعطى للقصيدة حيوية ، ونوعا من الجدل غير المسموع .كما لوح إلى الشئ ونقيضه بما يثير الذهن ، ويوقظ الفكر بحيث جعلنا نستشعر غضبته وهو يخاطب رافضي السلام في إطار من التقابلية بين الأفعال ، والأقوال، والأحوال لموقف مصر الداعي للسلام، وموقف الدول العربية الداعية إلى الرفض، ولا يخفى أن هذه المقابلات قد جسدت علاقة مصر بالقضية الفلسطينية، كما أوقفت المتلقي على حقيقة الرافضين من خلال تمهيد مواقفهم النفسية، والجسدية، التي دلت عليها المقابلات بإيحاءاتها، ورموزها.

وفي موضع آخر يتخذ خليل فواز من المقابلات وسيلة لكشف الزيف، وبطلان الادعاء حيث يقول:

لفلسطين قد حملنا لواءً	وغرسنا لها قلاعا صعابا

واحتفظنا لهم بكل حقوق ... وسلبتم كل الحقوق استلابا
وفقدنا لنصرهم شهداء ... وقتلتم شيوخهم والشبابا

تأمل دور مصر وقد أوجزه الشاعر في دلالات الأفعال المعجمية (حملنا لواء ـ غزونا قلاعا احتفظنا بحقوق ـ فقدنا شهداء) ثم تأمل دور الرافضين وقد دل عليه أيضا بما دلت عليه الأفعال بدلالاتها المعجمية والنفسية :(سلبتم الحقوق ـ قتلتم شيوخهم والشبابا) ثم وازن بين الموقفين لاشك أن المفارقة التي صنعتها المقابلة سترجح موقف مؤيدي السلام ،وستلقم الرافضين حجرا يخرس أفواههم ، ويدحض افتراءاتهم ،ويكشف للناس سوء سريرتهم وحقدهم ،وكراهتهم مصر .

ولا تكاد المقابلة تتخلى عن وظيفة الكشف عن زيف أدعياء الدفاع عن القضية الفلسطينية بمراميها الساخرة،و،إيحاءاتها المعبرة ،ورمزيتها الفاضحة ،يقول الشاعر "أحمد مخيمر" (٥٧)

إنا نضحي وأنتم لا تضحونا ... فما لكم يا بني قومي تصيحونا
ونحن جدنا بما يرضي مطامعكم ... وبالقليل ضننتم لا تجودونا
وقد أردنا لكم سلما يطول به ... عمر السلام وأنتم لا تريدونا

إن المتأمل في معظم تلك الصور يدرك أنها تهدف من خلال المقابلة إلى السخرية من الرافضين للسلام ،وهي بذلك تؤدي أكثر من وظيفة ،فهي حين تسخر منهم ، إنما تقيم عليهم الحجج والبراهين ،وهي حين تفعل ذلك تفضح حقيقتهم، وتكشف سوء سريرتهم،هذا من جهة ، ومن جهة ثانية تثير عليهم المتلقي ،وتنسف أي تعاطف معهم ،وتلك هي الغاية العظمى.

ومن صور المقابلة عند رافضي السلام قول الشاعر فاروق جويدة :(٥٨)

فالسلم بالعجز تابوت ومقبرة ... وثوب عار ودعوى كل منهزم
والسلم بالسيف أوطان محررة ... ونخوة في ضمير الشعب لم تنم

إن وظيفة المقابلة عند" جويدة" تقوم على الموازنة بين مفهوم السلام عند المؤيدين والرافضين وقد كشفت المقابلة ـ من وجهة نظر الشاعر ـ عن رفضه المطلق للسلام حين يكون عن ضعف واستسلام، وحين تضيع معه الحقوق ،ويدعو إليه الضعفاء المنهزمون ـ وهو السلام الذي دعا إليه السادات وأيده من أيده ـ أما السلام الذي يقبله جويدة فهو المعبر عن إرادة

الشعب الذي حرر أوطانه، واسترد كامل أراضيه ،ومثل هذا السلام لايدعو إليه إلا الأحرار الأبطال،والشاعر بهذه الطريقة يدع المتلقي أمام نفسه يسائلها: أي السلامين أقبل؟ وإلى أيهما أدعو؟ ولا شك أن النفوس الأبية، والعقول الذكية لن تقبل غير سلام الشرفاء الأقوياء،الأحرار.

أما الشاعر (صابر عبد الدايم) فيتخذ من المقابلة أداة تكشف عن نتائج السلام الذي يرفضه ،إذ السلام في نظره لم يحقق الأمن ،وينشر المحبة ،بل أوجد الخلاف والصراع، وأشاع العداوة والبغضاء،يقول:

ويشير السلام لم يأت بالزيتون　　بل جاء ..بالخلاف العصي

٤ـ المجانسة بين الموضوع والأسلوب :

من المقرر أن طبيعة الموضوع،وحال المتلقي هي التي تحتم على الشاعر الأسلوب الذي ينقل به تجربته ، ويصور معاناته ،ولما كانت الأساليب الإنشائية تقوم على الإثارة ،وتهييج المشاعر وخلق حوار خفي مع المتلقي كانت الأكثر شيوعا في الشعر الذي صور موقف الشعراء من السلام على اختلاف ميولهم ، ولا يعني هذا أنهم عدلوا عن الأساليب الخبرية،فقد عمدوا إليها في حجاجهم، وقصدوها في مواطن التدليل على مواقفهم.

ومن الملاحظ أن أسلوب الاستفهام قد نال عناية الشعراء ،وكثر في قصائدهم كثرة قد تدل على حيرتهم ،وتعجبهم، وقد تعكس استنكارا ،أو توبيخا للمخاطب.من هذه الصور ما نجده عند الشاعر خليل فواز في مثل قوله:

أيها المترفون إنا اتخذنا　　موقف الحق واتخذتم معابا
هل بذلتم دماءكم كدمانا　　بل صنعتم من الدماء شرابا
هل أحلتم عمارکم لطلول　　بل بنيتم على الطلول قبابا
كم شربنا من الشراب كريها　　وشربتم رحيق شهد مذابا
كم لبسنا من الثياب فرادى　　وأخذتم تبدلون الثيابا
أنذوق الطعام مرا وأنتم　　تنهمون الطعام لذا وطابا
أنخوض الحروب دهرا وأنتم　　تشترون الحسان بيضا عذابا

لقد تنوعت أدوات الاستفهام في الأبيات السابقة تنوعا يجسد موقف الشاعر من الرافضين وتجاوزت كل أداة وظيفتها الحقيقية،لتؤدي وظيفة جديدة هي مراد الشاعر ،فهو حين لجأ إلى الأداة "هل" فإنه لا ينتظر نفيا ،أو إثباتا ،إنما هدف إلى فضح مواقفهم ،وأبان عن حقيقة تصرفاتهم ،ومن ثم كان الإضراب بقوله : (بل صنعتم شرابا، بل بنيتم

قبابا) وترتيبا على هذه الحقائق تأتي الهمزة في البيتين الأخيرين منكرة عليهم ذلك، ساخرة من مواقفهم.

كذلك نجد هذا التجانس بين الموضوع والأسلوب في مثل قوله:

أ ما قتلت بتل الزعتر الشفر الـ ... لذي تحامي له بالرفض فاحتشم؟
ماذا انتظارك يا مستثمرا محنا ... عز الرجال أم الفرسان في وخم
إن كنت تبقي عليهم هل تخفا لهم ... أو هل بذلت لهم من مالك الجمم

لقد اتخذ الرافضون من قضية فلسطين والدفاع عنها علة لرفض السلام، ولما كان هذه العلة تبعد عن الحقيقة، واجه الشاعر مخاطبه، وذكر له من تصرفاته مالا يقدر على إنكاره، وقد كانت "الهمزة" بما لها من دلالات وظيفية سلاح الشاعر الذي شرعه في وجهه(أما قتلت بتل الزعتر..الخ) ثم أعقب "الهمزة" "ماذا" ليجسد بها سخريته من مستثمري المحن، وختم بـ "هل" تعجبا وإنكارا.

ولم تكن أساليب الاستفهام قاصرة على شعراء التأييد، إنما هي - أيضا - وسيلة من وسائل الإثارة، والإبانة عن موقف الرافضين للسلام. يقول "أمل دنقل":

أترى حين أفقأ عينيك
ثم أثبت جوهرتين مكانهما
هل ترى؟

لا تصالح ولو قيل رأس برأس
أكل الرءوس سواء..؟
أقلب الغريب كقلب أخيك..؟
أعيناه عينا أخيك..؟
وهل تتساوى يد سيفها كان لك
بيد سيفها أشكلك؟
هل يصير دمي - بين عينيك - ماء؟
أتنسى ردائي الملطخ بالدماء؟

كيف تخطو على جثة ابن أبيك
وكيف تصير المليك...؟
على أوجه البهجة المستعارة.

كيف تنظر في يد من صافحوك
فلا تبصر الدم في كل كف؟

كيف تستنشق الرئتان الهواء المدنس .؟
كيف تنظر في عيني امرأة
أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟
كيف تصبح فارسها في الغرام؟
كيف ترجو غدا ..لوليد ينام؟
كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام؟

من المقرر أن "أمل دنقل" هو أحد أقطاب رافضي السلام مع إسرائيل ،فالذكريات الأليمة، والأحداث التي أوقعتها إسرائيل على مصر والعرب لا تمحوها الذاكرة،ولا يتحيفها النسيان ،ومن ثم فإن الحديث عن سلام مع إسرائيل حديث ينكره كل عاقل، ويرفضه كل خبير بحقيقة إسرائيل ، وقد جسدت أدوات الاستفهام هذا الموقف ، وعبرت عنه خير تعبير،بما تحمله من إجابات تؤكد استحالة حدوث السلام .

إن كل أدوات الاستفهام في المقاطع السابقة قد وظفها الشاعر لتفيد الإنكار ،والتوبيخ لدعاة السلام ،سواء أكانت الهمزة،أم كيف،أم هل.

ويلجأ الشاعر "محمد عبد العال" إلى الاستفهام باعتباره وسيلة من وسائل التعبير عن موقفه الرافض للسلام ،متخذا من الأداة "من" بما تقتضيه من تحديد للفاعل ما يبرر به موقفه ،يقول مخاطبا إسرائيل:

إذا كنتم بحق أهل سلم ... أجيبوني جواب الصادقينا
فمن سفك الدماء ببور سعيد ... ومن ذبح الألوف بأرض سينا

إن كثرة أساليب الاستفهام ،وتعدد وظائفها ،من أبرز السمات الأسلوبية في شعر السلام حتى ما كادت تخلو منه قصيدة ، وقد بلغت براعة الشعراء الفنية مبلغا عظيما في المهانسة بين موضوعاتهم ووسائل التعبير عنها ، ويلاحظ أن الشعراء قد لجأوا إلى بقية الأساليب الإنشائية كالأمر ،والنداء ،لكن بقدر لا يصل إلى أسلوب الاستفهام.

كما يلاحظ ـ أيضا ـ أن الأساليب الإنشائية قد كثرت في موضوعات الجدل والمحاورة ، والتنديد ، أما بقية الموضوعات كالدعوة للسلام ،والإشادة بالقائد فقد غلب

عليها الأسلوب الخبري ، وهذا أمر طبعي يتناسب مع تلك الموضوعات القائمة على التقرير ، والتأكيد والهادفة إلى ذكر الحقائق والوقائع، دون إثارة للعواطف، أو تهييج للعقل .

٥ـ التكريـــر :

التكرير ظاهرة أسلوبية شاعت في معظم الشعر الذي صور موقف الشعراء من معاهدة السلام ، وفي ذلك دلالة على وعي الشعراء ،ودقتهم في اختيار الأسلوب الأمثل للتعبير به عن تجاربهم ذلك أن (التكرير ـ أو التماثل ـ الصوتي أمر لازم في لغة البشر ،فإن المعاني ـ من ناحية ـ أوسع مدى من الألفاظ،وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات ،أو الدلالات المجازية والرمزية، لاستيفاء المعاني،كم أنها ـ من ناحية أخرى ـ متكررة في الحديث الواحد عند قصد التأكيد ،وعند وقوع الشركة في الموصوف أو الصفة متى أريد النص واستقلال الأفراد دون تثنية ،أو جمع، ولاشك أنه مقصد له ما يبرره من الأسباب .) [٥٩]

وإضافة إلى هذا البعد الفني، أو البلاغي للتكرير فإن الشعراء كانوا بحاجة إليه استجابة لطبيعة الموضوع التي تحتم تأكيد الفكرة ،واستمالة المخاطب،وإثارة مشاعره.

هذا وقد تنوعت صور التكرير، فقد يكرر الشاعر اللفظة المفردة، واللفظة حينئذ قد تكون : فعلا ، أو اسما ،أو حرفا، أو مشتقا ، وقد يكرر الجملة اسمية كانت، أو فعلية.

من ذلك ما نجده في قول الشاعر"خليل فواز" يخاطب رافضي السلام:

هـل بذلتـم دماءكـم كدمـانـا ... بل صنعتـم من الدماء شرابـا
هـل أحلـتم عمـاركم لطلـول ... بل بنيتـم على الطلـول قبابـا
كـم شـربنا مـن الشراب كريهـا ... وشربتم رحيق شهـد مذابـا
كـم لبسنا مـن الثياب فـرادى ... وأخذتـم تبـدلون الثيـابـا

فقد كرر أداة الاستفهام "هل "و"بل" مرتين ،وهي في كل مرة تفيد معنى جديدا ،فالأولى يسأل بها على سبيل التوبيخ ليكشف عن تضحية مصر الجسدية في سبيل القضية الفلسطينية،والثانية تبين عن التضحية المادية ، كما أنه كرر "كم" الخبرية ليفيد كثرة ما عانت مصر مقابلة بما قامت به دول الرفض ،وهو بهذا التكرير إنما يريد أن يصل بمخاطبه إلى فساد رأيه وسوء معتقده.

أما الشاعر عبد اللطيف واكد - فإنه يتخذ من تكرير أداة الاستفهام "أين" وسيلة لتجريد الرافضين من كل تضحية من أجل فلسطين ،يقول :

هذي معاركهم وهذا سعيهم ... أين الدماء وأين قطع الهام
أين الرقاب تطيح عن أكتافهم ... في لمحة ويغير حد حسام
أين الوقوف أمام فوهة مدفع ... يرمي قذائفه بلا إحكام
أين التعرض للصواريخ التي ... تبلو الهواء بمزعج الأنغام
أين التسحب فوق أرض تعتها ... موت يثور بلمسة الألغام

لقد كرر الشاعر أداة الاستفهام "أين" ست مرات ،وهو في كل مرة يكشف عن معاناته النفسية من زيف ادعاء الرافضين ،كما يصور ضيقه وضجره من رفضهم للسلام ،وفي الوقت نفسه يؤكد للمخاطب عن طريق تكرير الاستفهام أن هؤلاء الرافضين ليست لهم أدنى علاقة بالحروب وتضحياتها ،ذلك أن الإجابة عن السؤال بـ "أين" تقتضي مكانا لحدوث الفعل ومكان الحدوث هو أرض المعارك ، ولما كان الشاعر قد نفى عنهم - من خلال الإيحاء بالسؤال أين - أن يكونوا قد أريقت دماؤهم، أو قطعت هاماتهم، أو طاحت عن الأكتاف رقابهم، أو وقفوا أمام فوهات المدافع، أو تعرضوا للصواريخ ،أو تسحبوا فوق الأرض ،فإن دلالة ذلك تعني أنهم ما عرفوا لميدان الحرب طريقا.وهكذا نلحظ أن تكرير الأداة أفاد نفي كل ما يتعرض له المقاتل في ميدان المعركة مما يعني عدم وجوده بذلك الميدان.

وشبيه بالصورة السابقة قول الشاعر عبد العليم عيسى - يرفض السلام ويبكت الداعين إليه حيث يقول:

كيف السلام وإسرائيل يرهبنا ... سلاحها النووي الفاتك اللجب
كيف السلام وإسرائيل غايتها ... أن يصبح الكل من أسلابها سلب
لا سلم والقدس والجولان ما برحا ... يدميهما الجرح يغلي فيهما اللهب
لا سلم والشعب لم يسمع لكلمته ... فكل حكامه عن رأيه رغبوا
لا سلم والشعب لم ترقأ مدامعه ... على الضحايا ولم يسكن به الغضب

لقد تعددت دوافع رفض السلام عند الشاعر، فتعددت وسائل التعبير إقناعا لمخاطبه، وتدليلا وتأكيدا على الرفض، وقد جاء التكرير مرة عن طريق الاستفهام على سبيل التعجب والإنكار ،ثم جاء التكرير مرة ثانية عن طريق النفي ليؤكد من خلاله استحالة السلام مع إسرائيل .

أما الشاعر "أمل دنقل" فيمثل التكرير عنده المحور الرئيس في قصيدته المسماة "لا تصالح" حيث كرر جملة "لا تصالح" عشرين مرة، وكأنه أراد أن يؤكد على رفض السلام رفضا مطلقا، والمتأمل في هذه الجملة يدرك أن الشاعر قد وظفها بحيث تفيد في كل مرة وظيفة تغاير الأخرى، فمرة يأتي النهي على حقيقته، وثانية يتجاوز الاستعمال الحقيقي إلى ألوانه المجازية المتعددة من توسل، ونصح، ورجاء ..الخ وكأن الشاعر بذلك التكرير أراد أن لا تنفك أذن المخاطب عن تلك الجملة التي أعقبها في كل مرة بمبررات الرفض، ليجعله يعيش معه ثورة الرفض وقد جسد أمامه حقيقة السلام مع إسرائيل.(*)

ومن صور التكرير - أيضا - ما نجده في قصيدة الشاعر فاروق جويدة "رسالة إلى شارون" وفيها يؤدي التكرير وظيفة التصويب والتأكيد على أن الذي نعقده مع إسرائيل فيما نسميه سلاما لا صلة له بالسلام ،لأن حقيقة السلام - في اعتقاد الشاعر - تغاير تلك الحقيقة:

منذ ابتليـــنا بداء السلـــم شردنا ... بـين الجمـــوع خـراب الأرض والـذمم
فالســـلم بالعجـــز تابوت ومقـبرة ... وثوب عـــار ودعـوى كـل منهـــزم
والسـلم بالسيف أوطـــان محـررة ... ونخـوة في ضمـــير الشعب لم تنـــم
الســلم أن يحـرس الفرسـان رايـتهم ... وأن نصون الحمـى بالسيف والقلـم
السلم أن لا نـرى طفـــلا يطـارده ... سيف جبـان وقنـــاص بسيـــل دم

لقد كرر الشاعر لفظة (السلم) خمس مرات، وجعلها في موقع المبتدأ في الأبيات الأربعة ثم أخبر عنها بما لا وجود له في الواقع ،وكأن لسان حاله يخبر :إذا كان الأمر كذلك فكيف نعقد معاهدة سلام ، أوندعي أننا تسالمنا مع إسرائيل؟

ومن صور التكرير اللافتة ما نجده في قصيدة الشاعر "محمد عبد المنعم إبراهيم" "القائد على جبل موسى" يمدح فيها السادات ويشيد بمسعاه للسلام، وفيها يوظف الشاعر التكرير ليدل به على الإشادة بأفعال السادات وتعدد مناقبه كما في قوله (٦٠):

ولأنـــت للأوطـــان أمجـد ساعـــد ... حمـــل الحســام وواجـــه العـــدوانا
ولانـت للأوطـــان أكـرم قائـــد ... قـد علـم الركبـان والشجعانـا
ولأنـــت للأوطـــان أوفـى مخلـص ... بالـسلم يـبني عـــزة وجنانـــا
ولأنـــت للأوطـــان ابـــرع عامـــل ... بالعقـل يبعـث للعـلا أذهانـــا
ولانـــت للأوطـــان أكـــرم صـــانع ... بـــالعلم يمحـــو والنهـــى أدرانـا

ولأنت للعرب الكرام مجاهد لتعيد للوطن الكبير كيانا

كذلك يستعين الشاعر بالتكرير ليؤكد به وقوف الشعب إلى جانب قائده ،وليدلل من خلاله على أن مصر في قلب ووجدان كل المصريين :

سنظل فيها قلبها ومآلها نسدي إليها الحب والإحسانا
سنظل فيها قلبها ولسانها لنعيد مجدا تالدا ومكانا
سنظل فيها ماءها وغذاءها نبني لها ونوثق البنيانا
سنظل فيها سيفها وملاذها لنرد عنها البغي والعدوانا
سنظل فيها رشدها وسدادها لنقيم سلما دائما وأمانا

إن صور التكرير،ووظائفه المتعددة تكاد تكون ظاهرة أسلوبية متكررة عند شعراء التأييد وشعراء الرفض ، إدراكا منهم بحاجتهم إلى التأكيد والتقرير ، واستمالة المخاطب، أو للتهويل من شأن ما يحذرون منه، أو لخصوصية في الألفاظ المكررة.

وحسبي ما ذكرت من ظواهر أسلوبية رأيت لها خصوصية فرضتها طبيعة الموضوع وإن كانت هناك ظواهر أخرى فهي مما يشيع في معظم فنون الشعر.

ـ كذلك أشير إلى أن الشعراء قد لجأوا إلى التصوير باعتباره وسيلة من الوسائل التي يجسدون بها انفعالاتهم، ويصورون مواقفهم، ويكشفون للناس من خلاله حقيقة ما يرون إضافة إلى أن خطابهم الشعري يهدف إلى إثارة المتلقي، وإقناعه ،ولا أقدر على القيام بتلك الوظيفة من التصوير حين يجسد المعاني صورا شاخصة أمام الأبصار.

وقد اعتمد الشعراء ـ ممن جمعت لهم من الشعر ما هو صدى للسلام مع إسرائيل كغيرهم ـ على وسائل التصوير البيانية من تشبيه ،واستعارة،و كناية،ورمز، وإيحاء.

وقد تجلت براعة الشعراء الفنية في المواءمة بين الصورة والجو النفسي الصادرة عنه، والموضوع الذي رسمته،ولم يشذ عن ذلك إلا القليل من الصور التي أشرت إليها في ثنايا العرض للموضوعات.(*) كما تلاحمت الصورة الجزئية مع الكلية لترسم المشهد بأدق تفاصيله.

كما يلحظ أيضا أن الشعراء قد اتكأوا على معطيات التراث، وثقافة العاصر في تشكيل عناصر صورهم ،وأن الكناية قد فاقت غيرها من الصور من حيث الكثرة ،وأن الصور جميعها قد تآزرت لتشكل رؤى الشعراء مؤيدين للسلام ، ورافضين.

الخاتمة ..

فوائد كثيرة ،ونتائج جديدة تلك التي يجنيها أي باحث ، أودارس حين يعكف على دراسة موضوع ما، خصوصا إذا أحسن العرض ، وتمكن من الأدوات ، وتجرد قبل ذلك كله من الميل والهوى .

وتأتي فائدة هذا البحث في كونه تناول الموضوع تناولا مستقلا حين جمع شتات القصائد ، فأبرز من خلالها مواقف الشعراء ، وكشف عن اتجاهاتهم وميولهم تجاه السلام قبولا ورفضا ، كذلك أضاف البحث إلى القارئ والدارس مجموعة من الشعراء المغمورين المتميزين ممن يستأهلون البحث والتنقيب عن نتاجهم الشعري الكامل.

أما النتائج التي يمكن رصدها فتتمثل في:

ـ كثرة شعر المؤيدين للسلام مقابلة بشعر الرافضين ـ فيما أمكن جمعه ـ ولعل مرد ذلك أن المؤيدين للسلام قد تمتعوا بحرية التعبير ، وأتيحت لهم وسائل النشر ، ولا أدل على ذلك أن معظم ما جمعت من شعر كان مصدره الصحف والمجلات القومية ، أما الرافضون للسلام فلم تتح لهم هذه الفرصة ، وكانت دواوين شعرهم الخاصة هي الكوة التي يطلون من خلالها على القارئ .

ـ كشفت أشعار الرافضين للسلام أنهم ليسو دعاة حرب،ولا أرباب خراب، إنما كان رفضهم للسلام لإشكالية تتعلق بالرئيس السادات الذي تفرد بالقرار ولم يشارك الشعب فيه ، إضافة إلى أن السلام مع إسرائيل ـ في ضوء ما نصت عليه المعاهدة ـ يحقق لها ما لا يحقق للعرب من فوائد، وقي ذلك الغبن ، والاستسلام .ومن ثم كان الرفض .

ـ تعددت موضوعات الشعر لدى مؤيدي السلام ، وكان يقابلها وينقضها شعراء الرفض ، فإذا كان السلام في نظر المؤيدين نداء السماء ، ودعوة الأنبياء ، فإنه في نظر الرافضين دعوة المحتالين، الدجالين، الضعفاء، المستسلمين، وإذا مدح المؤيدون قائد السلام فقد هجاه الرافضون وهكذا....

ـ انتشرت العقلانية،والخطابية في بعض تلك الأشعار ، وبخاصة تلك التي تتغيا الرد على رافضي السلام أو مؤيديه، حيث تعتمد على الحجاج العقلي، والاستدلال المنطقي، ومن ثم قلت الصور الخيالية في مثل هذا الموضوع، وكادت السطحية والمباشرة

تكون سمة لبعض هذه الأشعار، في حين كان التصوير في بقية الموضوعات وسيلة من وسائل الإثارة ،والإقناع.

ـ أثبتت الدراسة أن سلاح الكلمة ما زال يجلجل ، وأن الشعر قادر على تشكيل الرؤى، وتصحيح المفاهيم ، وأن مثل هذا الشعر الذي قيل في السلام يمكن أن يمثل ظاهرة لها من الخصوصية ماليس لغيرها ، فهو نتاج عواطف صادقة دفعتها غيرتها الإسلامية ،والقومية والوطنية إلى الشدو به، تحقيقا لآمال وأحلام الأمة العربية الإسلامية، ووقوفا به في وجه الصهيونية.

ـ لفتت الدراسة النظر إلى أن المرأة لم تسجل موقفها من المعاهدة حيث لم أعثر على أي قصيدة للمرأة فيما أمكن الوقوع عليه.

وبعد :

فهذه بعض الفوائد والنتائج التي حققتها الدراسة . وإن كنت أرى أن هناك الكثير من الشعر الذي يصور موقف الفريقين غير أني لم أقف عليه ،ولعل فيه ما يؤكد ما توصلت إليه أو يخالفه .

وحسبي أنني بذلت ما استطعت من جهد ، وأنني متى عثرت على ما يخالف تلك النتائج فسوف تكون لي وقفة أخرى .

والله أدعو أن يعين ويرضى ، ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.﴾

الدكتور:

عبده إبراهيم أحمد

الهوامش

(1) ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ٧١/١ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل

(2) ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر تحقيق علي البجاوي ،دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ الطبعة الأولى.

(3) ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لمحمد بن عبد الرءوف المناوي :١٤٢/٣

(4) ـ الحرب .. طريق السلام قراءة جديدة لوقائع وأسرار حرب أكتوبر.. ومعركة السلام ،حمدي الكنيسي ص:٧ إصدارات مجلة النهار ٢٠٠٥م

(5) ـ انظر :قرارات مجلس الأمن

(6) ـ اتفاقيات السلام العربية ـ الإسرائيلية خلال القرن العشرين ،نقلا عن الرابط :www.mogatel.com

* ـ كان وزيرا للخارجية المصرية آنذاك ،استقال من منصبه عشية التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد لخلافه مع الرئيس السادات حول الاتفاقية ورفضه إياها.

(7) ـ انظر: السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد ،مذكرات محمد إبراهيم كامل ،نشر:مركز الأهرام للترجمة والنشر.

* ـ هوالفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة في الفترة مابين ١٥مايو ١٩٧١م ـ ١٣ ديسمبر ١٩٧٣م،ولد بقرية شبراتنا مركز بسيون محافظة الغربية، يوصف بأنه الرأس المدبرة للهجوم المصري على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ،تم تسريحه في ١٢ ديسمبر من الجيش وهو في قمة عمله العسكري وتعيينه سفيرا لمصر في انجلترا ثم البرتغال، وفي عام ١٩٧٨ انتقد الشاذلي معاهدة كامب ديفيد مما جعله يتخذ القرار بترك منصبه والذهاب إلى الجزائر لاجئا سياسيا ،وهناك كتب مذكراته عن الحرب واتهم فيها الرئيس السادات باتخاذه قرارات خاطئة على الجبهة ،كما اتهمه بالتنازل عن النصر ،وأنهى كتابه ببلاغ إلى النائب العام يتهم فيه السادات بإساءة استعمال سلطاته وهو الكتاب الذي أدى إلى محاكمته غيابيا بالسجن ثلاث سنوات وحرمانه من التمثيل القانوني، وتجريده من حقوقه السياسية .(نقلا عن :ويكيبديا الموسوعة الحرة ،الرابط: ar.wikipedia.org

(8) ـ انظر مؤتمرات القمة العربية ـ المؤتمر العاشر ،موقع جامعة الدول العربية الالكتروني على الرابط www.arableagueoline.org:

(9) ـ ثلاثون عاما على المعاهدة المصرية الإسرائيلية ،مجدي خليل نقلا عن الحوار المتمدن ،الرابط على شبكة الانترنت :www.ahewar.org

(10) سورة : الأنفال ـ الآية : (٦١)

(11) ـ المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز ،المجلد الثاني ص:٣٥٠ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠١م- وخليل فواز شاعر مصري ،ولد في قرية العسيرات محافظة سوهاج عام ١٩٤٢م ،تخرج من الكلية الفنية العسكرية ،وعمل بالجيش المصري حتى أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٨٥م، لم يحل عمله العسكري دون إبداعه الشعري ،فله من الأعمال الشعرية: مصر الحرب والسلام،الغرفة الخالية ،وجه الحب القديم ،رفقا بقلبي ،قلبي أنا ،امنحني الحب، ركن بقلبك، الذي يمضي سريعا، معزوفات على أوتار القلب، وقد طبعت أعماله الشعرية بالهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١م

* صلح الرملة: اتفاق عقد بين صلاح الدين الأيوبي ،وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا واحد قواد الحملة الصليبية على بلاد الشام سنة ٥٨٨هـ-١١٩٢م،وكان من بنود هذا الاتفاق ان تتوقف الحرب بين الطرفين ثلاث سنوات وثلاثة أشهر على ان يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من يافا، وقيسارية، وحيفا، وأرسوف،وما عدا ذلك يبقى في أيدي المسلمين بما فيها بيت المقدس، كما نص الاتفاق أن للمسيحيين حق الزيارة دون حمل السلاح

.انظر :تاريخ الحروب الصليبية محمد سعيد عمران وانظر: الرابط الالكتروني: www. Marefa.org

* - أحمد مخيمر :شاعر مصري عاش في القاهرة، وزار سورية، والأردن، والسعودية، ولبنان. حفظ القران الكريم بكتاب القرية، ثم التحق بالأزهر، فتجهيزية دار العلوم، وتخرج في دار العلوم العليا ١٩٤٠.اشتغل مدرسا بوزارة المعارف، في عدة مدارس حتى سنة ١٩٤٨.عمل بإدارة البريد حتى صار مديرا لها، وبوزارة الثقافة من سنة ١٩٦٤ حتى أحيل إلى التقاعد.كان عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، وعضو اتحاد الكتاب، وعضو جمعية العقاد الأدبية.

- له سبعة دواوين هي: «ظلال القمر» - مطبعة الاعتماد ١٩٢٤، و«أنفاس في الظلام» ١٩٢٥، و« لزوميات مخيمر» - دار الطباعة المصرية - الزقازيق ١٩٤٧، و«الغابة المنسية» - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥، و«أشواق بوذا» - الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١، و«أسماء الله الحسنى» - دار الشعب .القاهرة ١٩٧٤، و« الروح القدس» - مكتبة الملك فيصل الإسلامية ١٩٩٥، وله قصائد منشورة في الصحف لم تجمع بعد، وقصائد مخطوطة لدى أسرته.

-له مسرحية مخطوطة (شعرية) بعنوان: «عفراء»، وترجم عددا من القصائد نشرت بمجلة "أبولو" انظر: عن معجم البابطين

(12) - صحيفة الأهرام :ديسمبر ١٩٧٧م

* محمد البرعي :شاعر مصري لم أحصل له على ترجمة.

(13) - صحيفة الأهرام ،العدد :٣٢٢٤٢،السنة :١٠٢ /ديسمبر ١٩٧٧

* - شاعر مصري ،ولد في الأول من يناير ١٩٠٧، بحي عابدين، لأبوين من أصل تركي ،وقد نشأ في بيت دين وعلم ،وأدب تلقى تعليمه الابتدائي بالمنيا ،ثم التحق بالمدرسة الثانوية الخديوية بالقاهرة ، و التحق بكلية الحقوق عام ١٩٢٥م وكذا بكلية الآداب،وقد عمل بعد تخرجه بالمحاماة ،وشغل بالأدب شعرا

ونشرا، و من أبرز أعماله الشعرية:

ـ ديوان: "وانشق القمر" دار لوتس للطباعة ١٩٧٩ ـ ديوان: "غنوا معي للحياة" الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٨٠

ـ ديوان: "الهمزية السنية في مدح خير البرية" الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٨٢ ـ ديوان: "دقوا الطبول ورددوا الالحان" دار لوتس ١٩٨٩م كما أن له ديوان شعر مخطوط ،وعددا من المسرحيات ، والقصص القصيرة .توفي الشاعر في الحادي والعشرين من يوليو ١٩٨٩م بعد رحلة مع المرض.

(14) انظر: ديوانه المخطوط ص ٤١٤: نقلا عن محمد عبد المنعم إبراهيم شاعرا،رسالة ماجستير إعداد: حسين عبد العاطي حسين ،كلية اللغة العربية ،القاهرة ١٩٩١م.

(15) ـ الأعمال الكاملة لأشعار خليل فواز ،ص: ٢٥٤ وما بعدها.

(16) ـ كزم الرجل كزما، فهو كزم: هاب التقدم على الشيء ما كان.لسان العرب مادة (ك ز م)

(17) ـ غشم: الغشم: الظلم والغصب، غشمهم يغشمهم غشما.ورجل غاشم وغشام وغشوم، وكذلك الأنثى، قال:

للولا قاسم ويدا بسيل لقد جزت عليك يد غشوم والحرب غشوم لأنها تنال غير الجاني

(18) ـ الشبم، بالتحريك: البرد. ابن سيده: الشبم برد الماء .انظر لسان العرب مادة : (ش ب م)

(19) ـ مذبحة تل الزعتر عام ١٩٧٦م قامت بها ميليشيات لبنانية يمينية، وبمساعدة قوات سورية بحق اللاجئين الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر في (لبنان) شرق (بيروت) وراح ضحيتها أكثر من ٣٠٠٠ فلسطيني.

الحشمنة: الحياء والانقباض، وقد احتشم عنه ومنه، ولا يقال احتشمه.(انظر اللسان /مادة: (ح ش م)

(20) ـ الوخم، بالتسكين، والوخم، بكسر الخاء، والوخيم: الثقيل من الرجال البيّن الو خامة والوخومة

(21) ـ المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز ، المجلد الثاني ص: ٣٦٨.

* سورة : (آل عمران .) الآية : (٢٠٠)

* ـ "مأمون الشناوي": شاعر مصري ، ينتمي إلى أسرة فنية وأدبية، أخوه الشاعر كامل الشناوي، وكان والده قاضيا شرعيا ينظم الشعر، تلقى تعليمه في مدارس مصر النظامية حتى الثانوية (القاهرة)، ثم التحق بمدرسة التجارة العليا (كلية التجارة) جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) وتخرج فيها ١٩٣٤م ،عمل بالصحافة منذ كان طالبا، وكان أحد مؤسسي جمعية المؤلفين والملحنين المصرية، ووكيلا لها، وكان عضوا لجماعة أبولو، وعضو نقابة الصحفيين

ـ له قصائد نشرتها صحف ومجلات عصره، خاصة مجلة أبولو ـ القاهرة ـ ١٩٣٤، (ما يقرب من ثلاثين قصيدة بالفصحى)، وله ما يقرب من خمسمائة أغنية وقصيدة بالعامية المصرية، والشامية، والبدوية، والمغربية انظر: معجم البابطين ،مأمون الشناوي. وانظر القصيدة بصحيفة الأخبار العدد: ٧٩٦٠،السنة: ٣٦ مارس ١٩٧٨م

* ـ شاعر مصري مجهول ،لم أعثر له على ترجمة.

(22) ـ نقلا عن صحيفة الأخبار ،المجلد :٢٧٢١،العدد :٧٩٧٨،السنة ٣٦ ، مارس ١٩٧٨م

* ـ شاعر مصري حصل على ليسانس في الحقوق من جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٧. اشتغل بالمحاماة في الإسكندرية منذ بداية حياته العملية حتى رحيله. كان عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر. حصل على الميدالية الذهبية عن أحسن شعر في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ـ له ديوانان دون ذكر لاسم المطبعة هما: «أحلام الصبا» ١٩٣٧، و«فجر وضباب» ١٩٤٨. نقلا عن معجم البابطين

(23) انظر: صحيفة الأخبار ،المجلد ٢٧٢١، العد: ٧٩٤٤، لسنة ١٩٧٨م

(24) ـ صحيفة الأهرام ،العدد :٢٧٢٤٢،السنة :١٠٢ ديسمبر ١٩٧٧م

* ـ عبد الله الأنور فواز: شاعر مصري ولد بقرية العسيرات محافظة سوهاج ،وتوفي فيها ،له ديوان مطبوع بعنوان" جميم الصبابة" وله خمسة دواوين مازالت مخطوطة لدى أسرته ،وهو من الشعراء المجددين ممن التزموا الأوزان والقوافي وجددوا في اللغة والموضوعات .انظر ترجمته: معجم البابطين .

(25) ـ انظر: صحيفة الأهرام ،العدد: ٢٧٢٥٠،ديسمبر لسنة ١٩٧٧م .

(26) ـ ديوان عامر بحيري ،ص: ٤١٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(27) ـ ديوان عامر بحيري ص: ٣٩٩.

* ـ كامل أمين : شاعر مصري ،تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه بمدينة سنورس، وحصل على الشهادة الابتدائية (١٩٣٦)، ثم التحق بمدرسة الفيوم الثانوية في مدينة الفيوم، ومنها التحق بمعهد الصحافة وتخرج فيها.

عمل معلما بمدارس مدينته الفيوم، غير أنه استقال من عمله في التعليم واتجه إلى الصحافة فأسس جريدة سياسية أدبية جامعة بعنوان «جريدة المجتمع"

– له ديوان «ابن حنظل» ـ جزآن ـ مطبعة الكمال ـ الفيوم ١٩٣٤، ومختارات من روائع شعر ابن حنظل ـ مكتبة المجتمع، وله قصائد نشرتها صحف ومجلات عصره ، و –له مؤلفات عدة بين المقالات ودواوين الزجل والدراسات والترجمة

(28) ـ انظر :صحيفة الأهرام ،يناير ١٩٧٨م

(29) ـ ديوان عامر البحيري ، ص:٣٩٩

* ـ سعد درويش: شاعر مصري، ولد في مدينة تلا (محافظة المنوفية) وتوفي في القاهرة.تخرج في كلية الآداب – جامعة فؤاد الأول (القاهرة) عام ١٩٤٥ – قسم اللغة الإنجليزية.عمل مدرسا بمصر وبالعراق، ثم بعد عودته إلى مصر:عمل مديرا بالعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التعليم العالي، ثم مراقبا للنصوص بالتلفزيون المصري، ثم مديرا عاما للنشر في هيئة الكتاب، فوكيلا لوزارة الثقافة لشؤون النشر والمراكز العلمية، ثم مستشارا للمشروعات الثقافية والأدبية بهيئة الكتاب، عاش عزبا وقضى حياته في أحد فنادق

القاهرة ،كان عضو اتحاد الكتاب (في مصر) وعضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة -له ثلاثة دواوين - نشرتها الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة : «السادات وجدان مصر» ١٩٧٨، و«الوجه الغائب» ١٩٨٤ و«في معبد الكلمات» م١٩٨٩.

(30) ـ انظر :صحيفة الأهرام ، يناير ١٩٧٨م

* ـ" محمد الهادي " :شاعر مصري ولد في مدينة الزقازيق محافظة الشرقية، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في المعاهد الأزهرية ،ثم التحق بكلية دار العلوم وتخرج فيها عام ١٩٤٥م.له عدد من القصائد المنشورة في صحف عصره في مختلف الدينية والوطنية.

(31) ـ انظر صحيفة الأخبار ،ديسمبر ١٩٧٧م

* ـ شاعر مصري لم أعثر له على ترجمة.

(32) ـ انظر صحيفة الأهرام ،يناير ١٩٧٨م

(33) ـ المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز ،ص. ٣٤٦

* انظر:

ـ قصيدة الدكتور :سعد ظلام "هذه مصر" .جريدة الأهرام ١٩٧٧/١٢/٢٨

ـ قصيدة الأستاذ :سلمان داوود " إلى السادات والأسد " صحيفة الأخبار :١٩٧٨/١٢/٢٧م

ـ قصيدة الأستاذ :عبد الله الأنور :"لكنه الحصن تلتف الحقوق به" صحيفة الأهرام :١٩٧٧/١٢/٢٢

ـ قصيدة الدكتور: يوسف خليف "عودة الفارس الأسمر" صحيفة الأهرام :١٩٧٧/١٢/٩م

ـ قصيدة الأستاذ: مختار الوكيل "سلام الحب ياسادات" ،ديوان مواكب الذكريات.

ـ قصيدة الشاعر :إبراهيم عيسى "الفارس" ديوان :شراع في بحر الهوى، ص:٩٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٨٩م.

(34) ـ انظر:ديوان مسافر بلا زاد .ص: ٩٩ وما بعدها ،مكتبة الملك فيصل ١٩٩٦م

(35) ـ الأعمال الكاملة ،أمل دنقل ،مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٥م

(36) ـ انظر : قصائد في رحاب القدس ،فاروق جويدة ،ص:٢٩ وما بعدها ،مركز الأهرام للترجمة والنشر ٢٠٠٢م

(37) ـ السابق ،ص:٣٧ وما بعدها.

* ـ صابر عبد الدايم : ـ شاعر وناقد وأستاذ جامعي ، ولد في الخامس عشر من مارس ١٩٤٨م بقرية الصباغ محافظة الشرقية تتلقى تعليمه في المعاهد الأزهرية ،ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة وتخرج منها ،وفي عام ١٩٨١حصل على الدكتوراه في الأدب والنقد،وتدرج في المناصب الإدارية حتى صار عميدا لكلية اللغة العربية بالزقازيق ٢٠٠٧م،له عدد من الدواوين الشعرية: ـ نبضات قلب ١٩٦٩م، ـ المسافر في سنبلات الزمن ،١٩٨٢، ـ الحلم والسفر والتحول ١٩٨٣ ـ المرايا وزهرة النار١٩٨٤ ـ العاشق والنهر ١٩٩٤ ـ مدائن الفجر ١٩٩٤ ـ العمر والريح ٢٠٠٢،كما أن له عددا من البحوث والدراسات الأدبية.

(38) ـ انظر:ديوان مسافر بلا زاد .ص: ٩٩ وما بعدها ،مكتبة الملك فيصل ١٩٩٦م

(39) ـ انظر:ديوان مدائن الفجر ،دار البشير عمان ١٩٩٤م

(40) ـ انظر ديوان : العمر والريح ،ص: ٥٢ وما بعدها ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م

* ـ شاعر مصري من مواليد بني محمد بمحافظة أسيوط ١٩٣٦م التحق بالتعليم الأزهري في مراحله المختلفة حتى حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة الأزهر،مارس الأدب شعر ونقدا منذ صباه، وترأس العديد من الجمعيات والمراكز الأدبية حتى صار رئيسا لرابطة الأدب الحديث ،من أشهر أعماله الشعرية ـ الحب والسلام ١٩٧٩ ـ بقايا من ضياع ١٩٨٣ ـ هموم شاعر ١٩٨٣ ـ وحدك والبر ١٩٩٧.انظر:

ملحق:قائمة_شعراء_مصر /ar.wikipedia.org/wiki

(41) ـ بقايا من ضياع ، محمد علي عبد المال ،ص:٧٦ رابطة الأدب الحديث

(42) ـ السابق: ص:٤٤

(43) ـ نقلا عن موقع الشيخ يوسف القرضاوي :www.qaradawi.net

(44) ـ السابق .

(45) ـ ديوان مسافر بلا زاد ص:٥٩ وما بعدها.

(46) في النقد الأدبي .د. شوقي ضيف ،ص:١٤٠ دار المعارف ،١٩٧٧م

(47) ـ المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز،ص:٢٥٦

(48) ـ ديوان مسافر بلا زاد ص:٩٩

(49) ـ الخيال، ميخائيل نعيمة ،ص:٧٦،ط١٦، بيروت ـ لبنان.

(50) ـ المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز،ص:٢٥٠

(51) السخرية في أدب المازني ،عبده حامد ، ص:٨ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م

(52) ـ المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز،ص:٢٥٤

(53) ـ انظر: صحيفة الأخبار، مارس ١٩٧٨م.

(54) ـ انظر: صحيفة الأخبار ،المجلد :٧٧٢١،العدد :٧٩٧٨،السنة ٣٦ ، مارس ١٩٧٨م

(55) ـ انظر: صحيفة الأهرام يناير ١٩٧٨م.

(56) ـ الأعمال الكاملة .خليل فواز ،ص: ٢٧٤

(57) ـ صحيفة الأهرام :ديسمبر ١٩٧٧م

(58) ـ قصائد في رحاب القدس ص:٢٢

(59) ـ التكرير بين المثير والتأثير .عز الدين علي السيد ،ص:٧ الطبعة الثانية ،عالم الكتب، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م.

(*) ـ انظر القصيدة ص: من البحث ،وانظر :الأعمال الكاملة .

(60) ـ انظر:الديوان المخطوط ص:٤٠٨ ملحق رسالة الماجستير محمد عبد المنعم إبراهيم شاعرا.

* ـ انظر ص: من البحث

المراجع :

- اتفاقيات السلام العربية الإسرائيلية خلال القرن العشرين ،نقلا عن الموقع التالي على شبكة الانترنت:www.mogatel.com
- الأعمال الكاملة لأمل ،أمل دنقل ، مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٥م
- تاريخ الحروب الصليبية .محمد سعيد عمران
- التحرير بين المثير والتأثير .عز الدين علي السيد ،ط٢،عالم الكتب ١٩٨٦م.
- ثلاثون عاما على المعاهدة المصرية الإسرائيلية ،مجدي خليل نقلا عن الموقع التالي على شبكة الانترنت:www.ahewar.org
- الحرب طريق السلام ،حمدي الكنيسي ،إصدارات مجلة النهار ٢٠٠٥م
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر.تحقيق علي البجاوي دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ الطبعة الأولى.
- ديوان "بقايا من ضياع" محمد علي عبد العال.رابطة الأدب الحديث
- ديوان "شراع في بحر الهوى" إبراهيم عيسى، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٨٩
- ديوان "عامر بحيري" ،عامر محمد بحيري ، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٨٢م
- ديوان "العمر والريح" د.صابر عبد الدايم ، الهيئة المصرية العام للكتاب ٢٠٠٧م
- ديوان " مدائن الفجر" د.صابر عبد الدايم . دار البشاير عمان ١٩٩٤م
- ديوان " مسافر بلا زاد" عبد العليم عيسى ،مكتبة الملك فيصل الإسلامية ١٩٩٦
- ديوان " موكب الذكريات " مختار الوكيل ،دار المعارف .١٩٨٠م
- السخرية في أدب المازني ،عبده حامد ، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٨٢م
- السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد ،مذكرات محمد إبراهيم كامل ننشر مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- صحيفة الأخبار : العدد ٧٩٤٤ السنة : ١٩٧٨م.قصيدة الشاعر "إدوار حنا"
- صحيفة الأخبار: العدد ٧٩٥٤ /السنة :١٩٧٨م.قصيدة الشاعر"محمد الهادي"
- صحيفة الأخبار: العدد :٧٩٦٠ .السنة: ١٩٧٨م. قصيدة الشاعر" مأمون الشناوي"
- صحيفة الأخبار . العدد :٧٩٦٤ .السنة :١٩٧٨م قصيدة الشاعر :مأمون الشناوي

- صحيفة الأخبار العدد: ٧٩٧٨ .السنة :١٩٧٨م قصيدة الشاعر "عبد اللطيف واكد"
- صحيفة الأهرام .العدد : ٢٣٢٣٧.السنة ١٩٧٧م قصيدة الشاعر".
- صحيفة الأهرام.العدد : ٢٣٢٤٣.السنة : ١٩٧٧م قصيدة الشاعر "محمد البرعي "
- صحيفة الأهرام .العدد: ٢٣٢٥٠ لسنة ١٩٧٧م قصيدة الشاعر "عبد الله الأنور فواز"
- صحيفة الأهرام .العدد :٢٣٢٥٥ لسنة ١٩٧٧م قصيدة الشاعر"محمد عبد الغني حسن "
- صحيفة الأهرام .العدد: ٢٣٢٧١لسنة ١٩٧٨م قصيدة الشاعر"كامل أمين"
- صحيفة الأهرام العدد: ٢٣٢٨٦ لسنة ١٩٧٨م قصيدة الشاعر"سعد درويش"
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٤٦٣هـ ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،بيروت ،لبنان .١٩٧٢م.
- الغريال ،ميخائيل نعيمة، بيروت ،لبنان.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لمحمد بن عبد الرءوف المناوي
- في النقد الأدبي ،د.شوقي ضيف، دار المعارف ١٩٧٧م.
- قصائد في رحاب القدس .فاروق جويدة، مركز الأهرام للترجمة والنشر ٢٠٠٢م
- لسان العرب لجمال الدين محمد بن المكرم ،المعروف بابن منظور،ت ٧١١هـ)دار صادر بيروت .لبنان.
- محمد عبد المنعم إبراهيم شاعرا .رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية ،جامعة الأزهر بالقاهرة ،إعداد: حسين عبد العاطي حسين ١٩٩١م.
- المجموعة الكاملة لأشعار خليل فواز ،المجلد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠٠١م- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، على شبكة الانترنت على الرابط:: ttp:www.alukah.net

أو: http://upload.traldnt.net/upfiles/mZa08785.gif.

- مؤتمرات القمة العربية- المؤتمر العاشر- موقع جامعة الدول العربية على شبكة الانترنت : www.arableagueoline.org